الرواية الفائزة بالقائمة القصيرة لجائزة د. شومان للخيال العلمي 2019

فريق السيكمنتو

د. أحمد السعيد

ساحر الكتب

لتحويلك إلى الجروب أضغط هنا

لتحويلك إلى الموقع أضغط هنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الطبعة الأولى
1441 هـ
2020 م

اسم الكتاب: فريقُ السّكمنْتو
التأليف: أحمد السّعيد مراد
المراجعة اللغوية: عبد القادر أمين
موضوع الكتاب: رواية
عدد الصفحات: 104 صفحات
عدد الملازم: 6.5 ملازم
مقاس الكتاب: 17.5x12.5
عدد الطبعات: الطبعة الأولى
رقم الإيداع: 2019/25354
الترقيم الدولي: 978-977-856-121-0

محفوظة جميع الحقوق

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع، والتصوير، والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الدار.

hakayaproduction@gmail.com

01551751909 - 01096476744

فريقُ السّكمنْتو

قصّة من الخيال العلمي

أحمد السّعيد مراد

شعرَ بصداعٍ خفيف يتماوج مع شعوره بالاهتزاز، كان الظّلام محيطًا به بلا شعاعٍ واحد من النور، لم يلبثْ كثيرًا فمعَ ارتفاع أصوات القهقهات من حوله أدركَ أنّ سبب الظّلام إنّما هو إغماض عينيه، ارتعشَ جفناه برهةً ثمّ شرع في فتح عينيه وهو يضيّق الحدقتين لمغالبة ألم سطوع الضّوء الشّديد الذي قابله، ومع الاعتياد البطيء المتصاعد لتلك الإضاءة؛ بدأ يدرك الأجواءَ من حوله، أخذَ يتلفّت يمينًا ويسارًا بدهشةٍ كبيرة، فقد كان جالسًا بسيّارة مكشوفةٍ تنطلق مسرعةً بطريق شبه ممهّد وسط غابةٍ كثيفة من الأشجار العالية، ومعه خمسةٌ من الوجوه التي لم يرها من قبل!

أربعةُ رجال؛ ثلاثةٌ منهم يرتدون زيًّا موحّدًا عبارة عن قميص طويلِ الأكمام وبنطالٍ من الجينز الأسود، ولكنْ لقميص كلّ منهم لونٌ خاصّ به، أزرق وأخضر وأصفر، والرجل الرّابع كان أضخمَهم، ويرتدي زيًّا شبهَ عسكريّ بقميص مموّه منسّق بعناية فائقة، ويميّزه تلك اللّحية المرسومة بعنايةٍ أسفلَ ذقنه فقط، وتمتدّ بخيطٍ رفيع مع شاربه الدّقيق، ويبرز من جيبه العلويّ تجاه اليسار طرفُ قلم ذهبيّ، أمّا الفردُ الخامس فقد كانت فتاةً جميلة تعقص شعرَها الذّهبي اللامع من الخلف، ورغم جَمال ملامحها يبدو عليها الجديّة وشيءٌ من الشراسة.

والغريب أنّ كلًّا منهم كان يستلّ سلاحًا يختلف تمامًا عن سلاح زميله، ووصلتْ دهشتُه للذّروة عندما أدرك السلاح الضّخمَ المستقرّ بين فخذيه، وقبل أنْ ينطق متسائلًا عن أيّ شيء، هتفَ ذلك الضّخم ذو اللّحية، هتف قائلًا:

- استعدّوا، لقد أوشكنا على الوصول، المعركة ستكون شرسةً جدًّا، أيّ تردّد يعني ضياعَ أحدنا، سنحصل على الجوهرة في أقلّ من الدّقائق الخمس، قبل أنْ يصل الدّعم إليهم.

همّ أنْ يهتفَ به متسائلًا، ولكنْ سبقه الرجل قائلًا:

- وأنتَ يا جاك، تعرف دورَك جيدًا، التّأمين الخارجي، سيارة تمشيط المنطقة الدّورية الخاصّة بهم ستأتي في خلال دقيقة ونصف بعد سماع صوت الرّصاص، دورك هو القضاءُ عليها بكلّ مَن فيها.

ومجدّدًا، وقبلَ أن يخرج أيّ سؤال من فمه، توقّفت السّيارةُ فجأة، دفعت الجميع نحو الأمام بفعل القصور الذّاتي، وفي ثوانٍ اعتدلوا وقفزوا مُسرعين من السيارة شارعين أسلحتَهم في تشكيلٍ يبدو أنّه مدروس بعناية، وذلك الضّخم، والذي حتمًا هو القائد، يهتفُ به قائلًا:

- هيّا يا جاك، اذهب خلفَ تلك التبّة.

انتبهَ أنّه الوحيد الذي مازال باقيًا بالسّيارة، فقفز مسرعًا نحو التّبة التي أشار إليها ذلك القائد، واختفى خلفها، وأنفاسُه تتسارع بقوّة،

وعاد الصّداعُ بأقوى ممّا كان، والذّهول يكاد يقتلُه، حاول ابتلاعَ ريقه الذي جفّ وارتعد بقوّة فوْر سماعه أصوات الرّصاص الذي انطلق عاليًا، وأخذَ يتلفّت حوله بذعرٍ شديد، فكّر أن يعود إلى السيارة مسرعًا ليطلب من قائدها أنْ يفرّا بجلديهما من هذا الجحيم، ولكنْ كانت السيارة قد اختفتْ تمامًا بلا أثر وبلا أدنى صوت، لا يذكر أنّها تحرّكت بعد مغادرته لها، فمتى.. وكيف اختفى بها قائدُها؟!

وقبل أنْ يستطرد في تساؤلاته الكثيرة، والتي لا يجدُ لها جوابًا؛ ظهرت سيارةُ الدّعم التي أخبره القائدُ عنها، كانت سيارةَ جيبٍ شبه عسكرية منقوشٌ على جانبها حرف إنجليزيّ كبير، لم يلقِ إليه بالًا، وهو يرى الجنود الثلاثة ضخامَ الأجساد ومفتولي العضلات يتأهّبون للقفز منها، ورغمَ أنّه يرى سلاحه العجيب هذا للمرّة الأولى، ويكاد يقسم بأنّه حتّى لا يدري كيف يمكن استخدامُه، إلّا أنّه صوّبه بسرعة نحو السيارة ومَن بها، وانطلقت زخات الرّصاص لتحصد الجميعَ في ثوان، ولم يكتفِ بذلك، وإنّما صوّبه نحو نقطة ملء خزان السّيارة بالوقود، وشرع في إطلاق الرّصاص المتواصل نحوه حتّى انفجرت السيارة بلهبٍ كبير اندفعَ نحو السّماء، فأخذ يتقافز فرحًا وهو مُمسكٌ بسلاحه ورافعًا إيّاه لأعلى بشكل أفقي، وقد انتابه إحساسٌ رائع شجيّ تملّك كلّ حواسه، استمرّ في التقافز والرّقص وهو يدور حولَ نفسه، ولكن ما إنِ

اكتملت استدارتُه حتّى انتابه الذّهول، فقد اختفتِ السّيارة، وكذلك جميعُ الجثث التي حصدها، ذهبَ مسرعًا إلى النقطة التي قضى عليهم بها، وأخذ يبحث حتّى عن آثار دمائهم ولم يجد!

أخذَ يتساءل إنْ كان في الأمر خدعة، وبالفعل سمع صوتَ موتور قويّ يتصاعد قادمًا نحوه، ولكن لم يستطع تحديدَ مصدره، ومن أيّ اتّجاه هو قادم، صوّب سلاحه للأمام، وأخذ يدور حول نفسه في ذعرٍ كبير، ولكن من نفس الاتّجاه الذي ذهب إليه رفاقُه، ظهرت سيارتهم وهم عليها يهتفون بفرح، والقائدُ تُمسك بجوهرة كبيرة حمراء ينطلقُ منها شعاعٌ أرجوانيّ عجيب، تجمّد بموضعه وهو لا يدري ماذا يجبُ أن يفعل، حتّى هتف به القائد قائلًا:

- رائع يا جاك، لقد نجحتِ المهمّة بتفوّق كبير، هيّا اصعدْ معنا يا بطل لنحتفل معًا.

ما إنِ استقرّ بالسيارة بينهم، حتّى نظر نحو القائد، وأخيرًا تمكّن من إطلاق أحدِ أسئلته الكثيرة قائلًا:

- لو سمحت، مَن أنتم؟ وكيف جئتُ معكم هنا؟!

***

نفسُ الصّداع الذي جرّبه من قبل، ونفسُ الاهتزاز، وبالطّبع أدرك أنّ الظّلمة سببُها أنّ عينيه مغلقتان، تكرّر كلّ شيء بحذافيره،

والقائدُ ذو اللّحية المسمّاة (دوجلاس) يقهقهُ بقوّة في نفس موضعه، تنهّد بقوّة، والحيرةُ تكاد تمزّقه، فهو لا يدري كيفَ ولا متى أصبح عضوًا في هذا الفريقِ القتاليّ العجيب!! في المرّة السابقة، شعر بفرحة كبيرةٍ بالفعل عندما حقّق انتصارًا كبيرًا وقضى على فريق الدّعم وحده، وتذكّر أنّه سأل القائد كيف.. ومتى هو معهم؟ ولكنّ لا يذكر أيّ شيء بعدها مطلقًا، هل ردّ عليه القائد؟ وماذا كانت الإجابة؟

المرّة الماضية كان خائفًا وحائرًا، هذه المرّة هو حائر فقط، الأفضلُ له الآن أنْ يسأل القائدَ قبل بدء العملية، رفع يده وهمَّ أنْ يسأل القائد، ولكنّ القائد سبقه النّطق بحماس شديد قائلًا:

- هيّا يا رجال، تحصيناتُ القلعة قوية، ولكنّكم على قدْرها، سنمحو أوّلًا كمينَ الدّفاع على الكوبري العابر إليها.. ثمّ نقفز من السّيارة، وننتشر بسرعة؛ كلّ ثلاثة باتّجاه، جاك ورفيقاه إلى اليسار، وأنا وهذان إلى الميمنة.

أومأ الرّجال برؤوسهم موافقين، وهتفَ جاك قائلًا بسرعة:

- لو سمحت يا قائد، أنا..

هتفَ القائد قائلًا:

- هيّا يا جاك، لا وقت للأسئلة، استعدّوا؛ فالكمينُ قد اقترب.

وجدَ الرّجالَ يصطفّون، القائد ورَجُلاه على جانب السيارة اليمين متأهّبين بأسلحتهم، وزميلاه توجّهَا ناحية جانبها الأيسر، فلم يجد بدًّا من التوجّه إليهما، ورفع سلاحه الضّخم الذي يشعر معه بالألفة هذه المرّة، ظهر البرج العالي أمام الكوبري، وانهالتْ عليهم الرّصاصات، وبلا تردّد ارتفع صوتُ إطلاق رصاصهم القويّ والمتتابع ليتساقط الرّجالُ من أعلى البرج، انتابه سؤالٌ عجيب:

- إذا كان اتّجاه رصاصاتهم يصيب هؤلاء الرجال من موضع اندفاع السيارة التي يطلقون الرصاص منها، المفترض مع اتّجاه الإصابة أن تتساقطَ الجثث للخلف وليس للأمام بمثلِ ما يرى الآن، فكيف تندفع الجثث لتسقط أمامهم هكذا؟!

وكذلك من المفترض أنّهم في مكانٍ عال يمكنهم من التّصويب الجيد، والقضاء على كلّ مَن بالسيارة في ثوان، فلم حدثَ العكس!؟

توقّف إطلاق الرّصاص تجاه السيارة التي لم تتوقف ثانية واحدة وقد زادت سرعتُها، وعبرت أسفلَ البرج من الطريق المخصّص لذلك، والغريب أنّه لم يرَ- أيضًا- أيًّا من الجثث التي سقطت منذُ قليل بالمواضع التي هي من المفترض أنّها قد استقرّت بها!

وما إنْ تحقّق لها العبورُ حتّى توقّفت السيارة بقوة، وقد تمسّك جاك هذه المرّة بجانب السيارة حتّى لا يقع على أثر الاندفاع بالقصور الذّاتي للأمام،

وفي نفس اللحظة التي قفز فيها القائدُ مع رجلَيْه، كان جاك ينطلق برفقة الاثنين اللّذيْن لا يعلم حتّى ما اسماهما، ولكنْ أسعده أن تلك الفتاة الجميلة معه، بدأ ظهورُ المقاتلين المسئولين عن الدّفاع عن هذه القلعة، وبدأ جاك هوَ وفريقه في قتلهم وكلّما سقط أحدُهم كانت فرحته ونشوتُه تزداد، ويشتعل الحماسُ بداخله، وبالرّغم من أنّه لا يدري إلى متى سيظلّ يحصدُ الجثث هكذا، وما الهدف من اقتحام هذه القلعة، إلّا أنّه ظلّ منطلقًا في الدّرب الظّاهر أمامه ليقضي على كلّ الأعداء، وأخيرًا وجد نفسَه داخل القلعة في مقابلة نصف الفريق الآخر، والذين ما إنْ رأوهم حتّى هلّلوا فرحًا، وأخذوا يتراقصون ويدورون حول أنفسهم بمثل ما فعلوا المرّة السابقة، وما أسعده أكثرَ أنّ تلك الفتاة مجهولة الاسم قد ضربتْ كفّها بكفّه تعبيرًا عن السعادة والانتصار.

هتفَ بهم القائد قائلًا:

- هيّا يا رجال لنحصد الغنيمة بسرعة.

كان جاك متلهّفًا لمعرفة ما هي تلك الغنيمة، وكانت دهشتُه عندما وجدَها صناديق كبيرة باللّون الأبيض عليها صليبٌ كبير أحمرُ اللون!

سألَ قائلًا بتعجّب:

- هل كانت هذه المعركة وتلك الجثث لأجل بعض الإمدادات الطبية؟!

هتفَ به القائد قائلًا:

- هيّا يا جاك فلتحمل ما تستطيعُ من الصناديق قبل أن يداهمَنا هجومٌ جديد منهم.

نظرَ جاك نحو رفاقه، فوجد أكثرهم قد حملَ خمسة صناديق، تعجّب كيف يتحمّلون ثقلها رغم ضخامتها الظّاهرة، حتّى الفتاة الجميلة والتي يفترض من مظهرها أنّها رقيقةٌ قد حملت خمسةً من الصناديق بمنتهى الرّشاقة!

فقامَ برصّ خمسةٍ أعلى بعضهم البعض، وتحفّز لرفع الثقل الكبير لهم، ولدهشته لم يكن وزنُهم بالثقل الذي تخيّله!

اندفعَ الفريق إلى السيارة، وبعد أن قاموا برصّ الصّناديق بها، انطلقت مسرعة، وهنا هتف جاك مسرعًا:

- رجاءً أنْ تُجيب عن سؤالي بسرعة أيّها القائد.

نظرَ القائد نحوه بتعجّب قائلًا:

- أيّ سؤال؟!!

- سؤال الأمس!

- أيّ سؤال؟

- مَن أنتم؟ وكيف جئت معكم هنا؟!

- نحن فريق السّكمنتو، و...

***

لقد بدأ يشعر بالسّخط الشّديد على هذا التّكرار السّخيف، ها هو للمرّة الثّالثة يجد نفسه مغمضَ العينين والسّيارةُ تنطلق به بنفس الاهتزاز مع خليطِ الأصوات المُعتاد، حاولَ هذه المرّة أن يكتسب وقتًا باستمرار غلق عينيه مفكّرًا ومُحاولًا التّذكر، أوّل مرّة يتذكّرها عندما ذهبوا لجلْب الجوهرة التي لا يدري أينَ هي الآن، وفجأةً انقطع الوعيُ تمامًا، ولا يدري ما حدثَ عقبها، وبعدها- وبنفس الطّريقة- استيقظَ وقام بمهمّة القلعة التي جلبوا فيها الكثيرَ من الأشياء الطبية التي لا يدري ما هي حتّى الآن، وفي المرّتين يفقد الوعي، أو تنقطع الأحداث بشكل مفاجئ وتامّ، ما هذا الذي يحدث؟!

لقد سألهم عمّن هم، وقالوا بأنّهم «فريق السّكمنتو» الذي يسمع عنه للمرّة الأولى، والأعجب من كلّ ذلك أنّه لا يدري مَن هو.. وما الذي حدث أو يحدث معه، فكلّ ذكرياته تبدأ عندَ لحظة استيقاظه قبيل بدْء عملية جلب الجوهرة، ما قبلها فراغٌ تامّ لا يذكر منه أيّ شيء على الإطلاق!!

حاولَ البحثَ عن تفسير لما هو فيه، مَن هو؟ ومن أين أتى؟ وما الذي يحدُث معه؟ ولمَ يتوقّف كلّ شيء فجأة ويبدأ فجأة بلا أيّ تفسير منطقي؟

أضفْ لكلّ ذلك بعض الأحداث الغريبة، منها قدرته العجيبة على القتل بلا تردّد، مع إحساس داخلي بأنّ ذلك خطأ كبير، ويخالف طبيعته ومبادئه تمامًا، مِن أين أتت هذه القدرة على القتل؛ بل والشّعور بالفرحة بعد انتصاره وقتل الكثير من الرجال الذين قد يكونون أبرياء!

أينَ تختفي الجثث بعد قتلها؟!

هل الحصولُ على الجوهرة، وأخذ المواد الطّبية عملٌ مشروع، أم أنّه سرقة بعد قتل أصحابها؟

هل ما يفعل قانونيّ أم أنّه مخالفٌ للقانون تمامًا وهو الآن شريكٌ مع عصابة إجرامية؟

شعرَ بأنّه يغوص في بئرٍ من الحيرة، ولا يجد له قرارًا، لذا قرّر أن يفتح عينيه وألّا يشارك في شيء إلّا بعد الإجابة عن كلّ الأسئلة الكثيفة التي دارت بمخيلته.

فتحَ عينيه وهتفَ بالقائد قائلًا:

- لو سمحت يا زعيم، أخبرني بسرعة مَن أنا؟ وكيف جئت معكم؟ وهل ما نفعله قانوني؟

قفزَ القائدُ من السيارة وهو يهتف به قائلًا:

- هيّا جاك، لا وقت لدينا.

للمرّة الثالثة تدفعُه الأحداث لأنْ ينغمس فيها دون إرادة منه، فقد وجدَ السّيارة متوقّفةً أمام مبنى ضخم وأنيق جدًّا تعلوه لافتة كبيرة تقول إنّه بنك..

ولم يستطعْ قراءة اسم البنك بعد أنْ مرّت رصاصة بأزيزها جوارَ أذنه اليمنى، لهذا توجّب عليه المشاركة في إطلاق النّيران على حرّاس هذا البنك، وسقط برصاصه خمسة على الأقلّ ممّن خرجوا مُسرعين من الداخل، وفي خلال دقيقةٍ اقتحم هو ورفاقُه البنك، وازداد انطلاق الرصاص ليحصدَ الحرّاس وبعضَ الناس ممّن وقفوا في طابور تفرّق يمينًا ويسارًا، والصّراخ يعلو منه!

وبعد أنْ تمّ القضاء على الجميع، أكمل السيرَ بين رفاقه خلفَ الزّعيم إلى سردابٍ خافت الإضاءة، وكلّما ظهر أحد الحرّاس يتمّ سحقُه على الفور، وأخيرًا توقّفوا أمام خزانة كبيرة، أخذ يطلق الرّصاص عليها مع زملائه حتّى سقط بابُها الضّخم، وأخيرًا بدأوا في حمْل الكثير من الصناديق المليئة بالذّهب، والتي لعجَبٍ كانت خفيفةً أيضًا مثلها مثل الموادّ الطبّية، ولهذا حمل خمسة صناديق بمنتهى البساطة، سارَ بجوار الفتاة، وحاول أن يحدّثها، فسألها قائلًا:

- ما اسمك؟

لم تردّ عليه، فعلمَ بأنّها لا ترغب في تجاذب أطراف الحديث معه، أو تتجنّب صنع علاقات جانبية مع أفراد الفريق، فلزم الصّمت هو كذلك، واستكمل مسيره بجوارها، وبعد قليلٍ وصل إلى السيارة التي تقف بجوار برجٍ عال جدًّا مخصّص لبثّ إشارة الجوالات أمام البنك. وأخيرًا بعد رصّ صناديق الذّهب فيها، تحرّكت السيارة لتنطلق عائدةً بهم مع غنيمتهم الجديدة، وقبل أن ينقطع وعيُه بمثل ما حدث في المرّات السابقة، قام بفعل عجيب لا يدري لماذا قام به، فقدْ قفز من السّيارة واندفع إلى داخلَ أقرب بابٍ وجده أمامه بعد أنْ دفعه بقوة بقدمه، وبمجرّد الدّخول قام بغلق الباب ليجد نفسَه سابحًا في ظلمةٍ عجيبة معتمة إلى أقصى حد!

أخذ يتحسّس الحائط بيديه؛ عسى أن يجدَ مفتاحًا يضيء به المكان الذي دخل إليه ولم يجد، عاد من حيث دخل عسى أنْ يخرج مرّة أخرى، أو حتّى يفتح الباب ليدخل إليه بعضٌ من الإضاءة القادمة من الشّارع، والغريب أنّه لم يجدْ بابًا، وإنّما كان حائطًا مصمتًا، وسط ظلمة لا ينفذ إليها أيّ شعاعٍ من الضوء، انتابته حيرةُ الدنيا كلّها، فجلس بموضعه، وأخذ يتفكّرُ في حاله، يشعر بأن كلّ ذلك غير طبيعي، وأنّ هناك سرًّا كبيرًا خلف كلّ تلك الأحداث العجيبة، والتي يراها غيرَ منطقية، ولكن كيف يتوصل إلى ذلك السّر؟

لقد فات وقتٌ طويل ولم تنقطع الأحداث بمثل ما حدث في كلّ مرّة بعد انتهاء المهمّة والحصول على الغنيمة التي لا يدري هل هي شرعيّة أم إجرامية!

لماذا لم تنقطع الأحداث بمثل كلّ مرّة؟

لا بدّ أنّه دخل منطقةً لا تسمح بانقطاعها، وهذا جيدٌ جدًّا لكي يجد الوقتَ اللازم للبحث عن الحقيقة، ولكن كيف سيصلُ إليها في هذا الظّلام الذي لم يعدْ يفرق معه إن أغمض العينين أو يفتحهما!

في كلّ مرّة تبدأ الأحداث وهو مغمضُ العينين، ورغم أن الظّلمةَ الشّديدة التي هو بها الآن لا تتطلّب أن يغمض عينيه فيها، إلّا أنّه جرّب إغماضَ عينيه والاسترخاء التام، ولأوّل مرّة يشعر بالتّعب الجسدي والإرهاق الذي يتطلب الرّاحة، وبدأ النّعاس يداعب عينيْه، وبالفعل بدأ يدخل في جميع مراحل النّوم، وفجأة وجدَ نفسَه يهتزّ داخل السيارة بمثْل ما يحدث عند بداية كلّ مهمّة!

***

الآن، تيقّن تمامًا أنّه غالبًا لن يحصل على إجابة من القائد، فدومًا تسبقه الأحداثُ لتقطع عليه تساؤلاته، ولكن ها هو قد وصلَ لنقطةٍ يمكنه من خلالها استكشاف بعض الحقائق بنفسه، يكفيه الهروبُ من

السيارة بعد تمام المهمّة ليسبق انقطاع الأحداث منه، وقبل أنْ يستطرد في أفكاره سمعَ القائدَ يهتف باسمه قائلًا:

- هيّا يا جاك بسرعة.

فتحَ عينيه ليجدَ الفريق يقفز مسرعًا من السيارة قبل أن يعلمَ منهم ما هي المهمّة المطلوب إنجازُها هذه المرّة، ولكنْ سيتبعهم ليفعل مثل ما يفعلون، وبدون تفكير!

وكانت دهشته هذه المرّة عندما وجدهم يقتلون بعض الحرّاس المتترّسين خلف مدافعَ ضخمة، شارك معهم في حصدِ كلّ مَن تبقى منهم، وأخيرًا تمكّن الفريق من المدفعين الكبيرين، وجدَ ثلاثة يتّجهون نحو المدفع الأيمن، فتوجّه من فوره إلى المدفع الأيسر مع الاثنين الآخرين واللّذين أخذا يعدلان من وجهة المدفع بشكل مُعاكس ممّا كان عليه، وأخيرًا ها قدْ تمّ تصويبه بدقّة نحو مبنًى ضخم، شعر برهبةٍ كبيرة عندما تطلّع إليه، كان المبنى بسيطًا جدًّا في تصميمه رغم ضخامته، وعند جانبه الأيمن يرتفع ما يشبه العمودَ الضّخم، دائري التصميم، وفي قمته ما يشبه الهلال، فجأة ومضتْ بعقله ومضةٌ لصورة شاحبة تخصّ مبنى يشابهه تمامًا.. ولكن أصغر في الحجم، كان بابُه الواسع مفتوحًا على مصراعيه، وبداخله أناس كثيرون، بعضهم واقف وآخرون ينحنون للأمام في وضعٍ ثابت وغيرُهم يبدوا أنّهم يقبّلون

السّجاد الأحمر الذي تتزين به أرضيّته، وقبل أن يستطرد في أفكاره أو ذكرياته التي بدأت تظهرُ له كوميض سريع، ارتجّ المكان بقوّة على أثر القذائف التي بدأت تنهالُ بقوّة وسرعة على المبنى لتدكّه بقسوة، خرجَ الكثير من الرجال يرتدون ثيابًا بيضاء طويلة، فبدأ زملاؤه في حصدهم بأسلحتهم، حاول جاك أن يشاركَ في عملية الحصد هذه، ولكن كان بداخله مانع قويّ لا يدري سببه، فلم يستطعْ أن يرفع سلاحه، والفتاة تصرُخ به أن يفعل، فهزّ رأسه بقوّة وألم، وقام واقفًا لينصرفَ هاربًا من هذه المذبحة التي تعالى رفضها بداخله لأقصى الدرجات!

ولكنْ فجأة شعر بشيء يخترق رأسَه بقوّة، وقبل أن يفكّر أو يتّخذ أيّ ردّ فعل، أظلمت الدّنيا تمامًا، ولم يعدْ يشعر بشيء!

***

يبدو أنّ أسئلته ستزداد تعقيدًا عمّا قبل، لقد ظنّ بأنه قد وجدَ المخرج الذي يؤدي به إلى بعض الإجابات، وذلك عندما عزم على الهروب من الفريق بعد تحقيق الفوز والسّعي للاستكشاف قبل أن تنقطع به الأحداث، ولكن ها هي الأحداثُ تأتي إليه بجديدٍ يزيد الغرائب التي لا يفهمها!

عندما شعر بذلك الجسم الذي يخترق رأسَه، والذي لا يدري ما هو حتّى الآن، وعندما انقطعت به الأحداث، ظنّ أنّه سيبدأ من

النقطة المتكرّرة معه في كلّ مرّة، وهي اهتزاز السّيارة، ثمّ الاستيقاظ بين الفريق بمثل المرات السابقة، ولكنْ عندما فتح عينيه وجدَ زملاءه ينشطون في تعديل وجهات المدافع نحو ذلك المبنى الضّخم الذي رآه سابقًا، ما هذا؟ لماذا تتكرّر الأحداث هذه المرّة؟

ولماذا يبدأ التكرار عند هذه النقطة تحديدًا؟

هل من المُمكن أن يكون الزّمن قد عاد به هذه الدقائق؟

يستقرّ في وعيه الآن أنّه سمع أو رأى شيئًا يشابه ذلك، كان هناك مَن يعود عبر أحداث الزّمن إلى وقت سابق وتتكرّر معه الأحداث، وقد حاول الهروب من ذلك التكرار، هل يعقل أنّه يعيش نفس التجربة ولكن بشكل مخالفٍ وجديد؟!

هل من المُمكن أن يكون كلّ ذلك حلمًا يراوده، ولهذا تختلّ فيه كلّ القواعد، ولا ترتبط فيه الأحداث بأي منطق؟

كالعادة قطعَ عليه تفكيره وتساؤلاته دويّ المدافع التي بدأتْ في مهاجمة هذا المبنى الذي يهزّ شعوره بشكل غريبٍ لا يدري ما هو السّر وراء ذلك.

قرّر ألّا يشارك في القتال، وأن يقف متفرّجًا ليرصد الأحداثَ وفقط، عسى أنْ يجد من خلال ملاحظته بعض الأفكار أو الأسرار التي تمكّنه من كشف الغموض المحيط به من كلّ جانب.

بدأتِ الأعداد الكبيرة تخرج من المبنى بردائها الأبيض الطّويل، دقّق النّظر نحوهم ليجدهم جميعًا يشتركون في اللّحية الكثّة، وأعينهم تحملُ نظرات وحشيّة بشعة، ومن لا يموت منهم يرفع سلاحَه نحو فريقه، وبدأت الرّصاصات تتطاير حوله، ورأى الرّصاصة المتّجهة نحو منتصفِ رأسه، وقبل أن يقوم بأيّ ردّ فعل شعر بنفس شعوره السّابق بأنّ هناك ما يمرّ من خلال رأسه، وانقطعت الأحداثُ للمرّة الثانية!

***

كما توقّع تمامًا بدأتِ الأحداثُ عند نقطة إعادة توجيه المدافع، وبدأ زملاؤه في الهجوم، الآن هو عالقٌ في دائرة لا يدري متى.. ولا كيف ستنتهي، يجب أن يتقدّم خطوة للأمام، رغمَ رهبته من ذلك المبنى، وتردّده في الهجوم ومشاركة زملائه القتال، ولكن لكي يخرج من دائرة التّكرار المتعلّقة بإتمام هذه المهمّة؛ يجب عليه أن يفعل ما يخالفُ رغبته تمامًا، ويتسبّب في قتل شعوره الداخلي، وهو المشاركةُ في القتال، وذلك حتّى لا تتحكّم به الأحداث، وحتى يمكنه السّعي لاستكشاف الحقيقة، لذا فقد رفعَ سلاحَه، وبدأ في إطلاق الرصاص الكثيف، والثّيابُ البيض لكلّ الرجال الهاربين من داخل المبنى بدأتْ في التلطّخ بالدّماء، كانت رهبته وخوفه يزدادان وهو يشاركُ في القتال هذه المرّة، وشعور عجيب بالأسى والمرارة يتصاعدان بداخله وهو يقتل هؤلاء

الرجال رغم هيئتهم البشعة التي توحي بتوحّشهم، ولكنّ فوزه ونجاته والبحث عن حقيقته الآن يتطلّبان منه تجاهل مشاعره تمامًا، وبعد دقائق توقّف إطلاق الرصاص بعد أن مات جميعُ مَن خرجوا من المبنى، ولم يعدْ منهم مزيد، فانطلق زملاؤه يتقافزون ويهتفون وهُم يسرعون فرحين نحو ما تبقّى من المبنى الذي تهدّم أغلب أركانه، وانطلقوا داخلين إليه، وما إنْ ولجت أقدامُ جاك إلى الدّاخل حتّى انتابته ارتعاشة عجيبة، كان المبنى مفرغًا من الدّاخل، ولا يوجد به غرفةٌ واحدة، فكان أشبهَ بساحةٍ كبيرة خالية لا يشغلها سوى بعض العمدان الخرسانيّة هنا وهناك، والتي بالطبع تحملُ السّقف العالي جدًّا، وعندما رفع بصرَه إليه وجده يحملُ الكثير من الزّخارف العجيبة، والأرض كانت نظيفة جدًّا، ومفروشة بسجادٍ فاخر لا يحمل حتّى ذرة تراب واحدة رغم كلّ الصّراع والقتال السّابق، وجد زملاءه ينطلقون نحو هيكلٍ خشبيّ في أحد أركان المبنى، يتقدم ذلك الهيكل عدّة درجات خشبيّة قليلة، وبأعلاه ما يشبه المقعدَ الوثير.

وللمرّة الثّانية انطلقت ومضةٌ في عقله ولكن ليست مجرّد صورةٍ فقط، وإنّما يصحبها صوتٌ عجيب، فقد رأى في مخيّلته هيكلًا مشابهًا للماثل أمامه الآن، ويعلوه رجلٌ يرتدي نفسَ الرّداء الأبيض الطويل، وهو يهتف قائلًا: «الله أكبر»..

ارتعدَ بقوّة، وقد طارت الومضةُ التي تبدو أنّها شيء يتعلق بذاكرته الفقيدة، الكلمة الغريبة هذه تبدو مألوفة جدًّا، ولكنْ ماذا تمثّل له فيما سبق؟

لا يدري!

فذاكرته ممسوحةٌ بشكل تام، والحالية تمّ بناؤها منذ استيقاظه الأوّل برفقة فريق السّكمنتو هذا، ولكن يبدو أنّ السّيرَ والتّفاعل مع الأحداث الجديدة قد يأتي له بومضاتٍ تعيد له بعضًا من ذكرياته، ولن يكتفي بهذا، لقد نجحتِ المهمّة الآن، وسوف يهرب ليكتشف المزيد ممّا قد يساعد في استرداد حقيقته وذاكرته الضائعة.

اجتهدَ زملاؤه في إخراج الكثير من صناديق القنابل والأسلحة من حفرةٍ ظهرت أسفلَ ذلك الهيكل الخشبي، وبمثْل كلّ مرّة رفع خمسة صناديق منهم أعلى كتفه ليحملهم بمنتهى اليُسْر والسهولة، وانطلق إلى السيارة التي ما إن بدأت في زيادة سرعتها بحصيلتها التي اغتنمتها بعد المجزرة التي قاموا بها، وقبيل أن تزيد سرعتها للدرجة التي تعرقل هروبه؛ قفزَ مباشرة منها، ولم يلتفتْ إلى صياح زملائه، ولكي لا يقع في عقبةِ المرّة السابقة بالحبس داخلَ مكان مغلقٍ ومظلم، فقد ذهب إلى حارة ضيقة ظهرتْ له، وانحرف داخلها ليختفي عن زملائه الذين انطلقتْ بهم السيارة في طريقها الواسع والممهّد، والذي أتوْا منه من قبل.

❋❋❋

ما إنْ غاب عن سمعه هديرُ موتور السيارة التي تقلّ فريقه، حتّى ساد الكون صمتٌ عجيب، لا يوجد أدنى صوت على الإطلاق، حتّى راودَه شكّ في إصابته بالصّمم!

ضربَ بقدمه على الأرض بقوّة، فسمع صوت الضربة المكتوم، فعلم أنّ سمعه مازال بخير، ولكن لا يدري سر هذا الصّمت التّام والمطبق!

لم يتوقّف كثيرًا لاكتشاف سرّ هذا الصّمت، فمازال حوله الكثيرُ من الألغاز العجيبة والأكثر أهميّة منه، بدأ في التطلّع إلى المباني التي حوله على جانبي تلك الحارة الضّيقة، كانت- أيضًا- متشابهة بشكل عجيب، كلّ تفصيلةٍ مهما كانت صغيرةً متكرّرة تمامًا في كلّ المباني التي يمرّ عليها ببصره، فقط الاختلاف في الرقم الذي يعلو كلّ باب، كان المبنى الواحدُ منهم مكوّنًا من طابقين، الطّابق الأرضي يحوي نافذةً صغيرة ذات اليسار والباب الرّئيسي له ذات اليمين، وأعلاه رقم، والطابق الثاني يحوي شرفةً صغيرة خلفها باب ذات اليمين أيضًا ونافذة صغيرة مماثلة تمامًا لتلك الموجودة بالطابق الأرضي، وكل الأبوابِ مغلقة، وكذلك النوافذ، وأخيرًا انتبه أنّه لم يقابل مخلوقًا منذ دخلَ هذه الحارة التي سار فيها ما يقارب ثلاثمائة مترًا، وعلى مدّ بصره لا يظهر لها أيّ نهاية!

أصبحَ انطلاقه فيها ضربًا من العبث، فهو حتّى لم يلتقِ حيوانًا ضالًّا، يبدو أنّها مكانٌ مهجور بسبب الحروب والصّراعات التي تدور بالقرب منه!

همّ أنْ يعود ولكن لمحَ بطرف عينه ملمحًا جديدًا يختلف عن كلّ ما تكرّر معه منذ بداية رحلة استطلاعه هذه، فقد وجدَ سلّمًا خشبيًّا يرتكن على أحد المنازل، وقد وصل طرفُه الأعلى إلى شرفة الطّابق العلوي، لو رآه في أوّل دخوله لتلك الحارة ما شغل باله، ولكن بعد تكرار التّفاصيل العجيبة واللامتناهية هذه، ظهور هذا السلم يعد أحدَ العجائب التي يجب أن يتوقّف عندها، لهذا- وبلا تردّد- بدأ في ارتقائه، حتّى صعدَ إلى بداية الشرفة التي قفزَ داخلها بسهولة، كانت فارغةً تمامًا ونظيفة بشكل لامع كأنّما قد تمّ تنظيفها منذ ثوان!

لم تشغله كثيرًا، وذهب محاولًا فتح بابها ليرى ما خلفه، رغم أنّ الباب يظهر عليه إحكام غلقه، وأنّه موصَد بقوّة من الدّاخل إلّا أنّه قد استجاب لدفعته البسيطة وانفتح، خشيَ أنْ يتقدّم للداخل فيقع في مصيدة المرّة السابقة عندما لم يجد مخرجًا إلّا بانقطاع الأحداث، لذا حافظ على أنْ يكون الباب مفتوحًا بيده، وهو بالخارج ويختلس النّظر لما بالداخل، وجد غرفةً مفرغة تمامًا، ولا يوجد منها أيّ منفذ، تعجّب.. كيف لا يوجد لها بابٌ داخلي يفضي إلى بقيّة غرف هذا المبنى

أو تلك الشّقة؟ ولمَ هي مفرغة بهذا الشّكل العجيب؟ هل يعقل أنّ جميع هذه المباني مهجورة ومفرغة هكذا؟!

لم يعدْ هناك ما يستدعي بقاءه هنا، فعاد من حيث أتى، وفوْر أنِ استقرّ بأرض الشارع، وجد الكثيرَ من تلك السّلالم الخشبية ترتكن على شرفات بعض المنازل بمثل الذي صعدَه منذ قليل، يذكر أنّه لم يرَ سوى ذلك الذي ارتقاه فقط، متى وكيف ظهرتْ تلك البقية؟

هل سيصعد ويحاول استكشاف المزيد؟

ولمَ لا؟ مازال يملك الوقت، ولا يوجد ما يشغله.

حاولَ إحصاء السّلالم الجديدة التي يراها فوجدها سبعة، فأخذَ يتخيّر أحدهما ليذهب إليه، واختار الوسط وهو الرّابع، فقبله ثلاثةٌ وبعده ثلاثة، ووجدَ نفس التفاصيل بمثل ما سبق، ولكنْ بمجرّد أن فتح باب الشرفة، حتّى داعبه الحظّ هذه المرّة، فقد كانت الغرفةُ مفرغة بالفعل، ولكن يوجد منضدةٌ ضئيلة يعلوها حاسوبٌ صغير شاشته مضاءة، بلا أيّ حذر اندفعَ للدّاخل إلى هذا الحاسوب، والغريب أنّه لم يكن حاسوبًا مكتملًا، وإنّما شاشة حاسوب فقط!

لا يوجد لوحة مفاتيح أو فأرة، أو حتّى الجهاز نفسه الذي تتّصل به هذه الشّاشة؛ بل إنّ الشّاشة نفسها لا يخرج منها ما يتّصل بمصدرٍ للطاقة، فكيف تعمل؟!

قد تكون هي شاشة متطوّرة تعمل باللّمس، وبها بطارية داخلية؛ لذا مدّ يده نحوها ليلمس مركزها، فجاوبه الصّمت والسكون؛ فلا يوجد أيّ تغيير، فقط إضاءة الشّاشة الزرقاء والمفرغة، والتي لا تحمل أيّ بيانات على الإطلاق، يبدو أنّ الحظّ لم يداعبه بشكل كامل هذه المرّة، ولكن قد يكون بها زرّ جانبي يجب عليه ضغطه، أخذَ يتحسّس أطراف الشّاشة وأسفلها؛ بل وخلفها، ولم يجدْ هذا الزّر المزعوم، استشاط غضبًا بسبب هذا الغموض والفشل الذي يلاحقه في كلّ خطوة يحاول فيها السّعي لكشف أسراره، رفع الشّاشةَ وهو يهمّ بأن يلقيها في الأرض لتتحطّم، وهو يكاد يسبّ ويلعن مَن وضعه في هذا المأزق الغريب، كانت الشّاشة خفيفة جدًّا، ولكن ما إنْ رفعها عاليًا، وقبل أن يقذفها بكامل قوته، فوجئ بها تظهرُ عليها رسالة، حاول أنْ يتمسّك بها قبل أن تتفلت منه، فاختلّ توازنه وكادَ يسقط أرضًا، تمالك نفسه في اللّحظات الأخيرة، والشّاشةُ مازالت بين يديه، تنفس الصّعداء وهو لا يصدّق أنّه لم يفشل هذه المرّة، نظر إلى الرّسالة المكتوبة بمركز الشّاشة بخطّ عاديّ جدًّا، وبلغة لا يعرفها، ولكن كان يفهمها، ولا يدري كيف يتأتّى له هذا!

كان مكتوبًا عليها جملةٌ واحدة تقول:

«ابحثْ عن المفتاح الذّهبي»

أيّ مفتاح ذهبي هذا الذي سيبحث عنه؟ وما فائدته؟

وأين سيبحث عنه؟

أسئلةٌ كثيرة لا يدري لها جوابًا، وازدادت حيرتُه بأكثر ممّا كانت، لقد ظنّ بأنّ رحلةَ استكشافه ستزيلُ الغطاء عن بعض الغموض، وتمنحه وترشدُه إلى طريق الحقائق التي يبحثُ عنها، ولكن ما حدثَ هو النّقيض؛ فقد تعقّد الأمر وازدادت الأسئلة!

ولكنّ ها هو الآن يعلمُ بأنّ هناك مفتاحًا ذهبيًّا، ربّما يفتح له بابَ الأجوبة، ويضيء له طريق الحقيقة.

لهذا يجبُ عليه البحثُ والسّعي للوصول إليه، لا يدري أينَ سيبدأ البحث، ولكنْ بما أنّ هذه الرّسالة أتته في أحد منازل هذه الحارة، فحتمًا هو بأحدِ تلك المنازل الكثيفة المُتشابهة والمتكرّرة التفاصيل بشكل متطابق!

هل سيبحث داخل كلّ هذه المنازل؟

لا.. سيبحث عن منزلٍ مختلفِ التّفاصيل، فحتمًا هذا المنزلُ سيكون اختلافُه إشارة إلى أن بداخله المفتاح المطلوب، لهذا بدأ في نزول السّلم، ولم يعدْ يدهشه ما وجد، فقد اختفتْ كلّ السلالم التي كانت تظهر قبل صعودِه الأخير!

لقد بدأ الاعتيادَ على العجائب التي كانت تدهشه في السّابق، وقف ليتفكّر قليلًا، لقد كان ظهور هذه السلالم إشارةً له ليجدَ تلك الشاشة برسالتها التي تطالبه البحث عن المفتاح، وربّما كان وجود سبعةٍ منها هو لغزًا يتطلّب منه الحلّ، وكان حلّه سليمًا تمامًا عندما اختار أوسطها، أخذتْ ومضاتٌ تضيء في عقله بصورٍ كثيرة له يرى نفسه يتقافزُ فرحة، وأمامه شاشةُ حاسوب، وقد خطّت عليها كلمة (أنت الفائز) بالإنجليزية. نعم.. هو يشعر بأنّه مرّ بشعوره الحالي كثيرًا، فقد كان يفوز في كلّ التحديات والمسابقات والألعاب بمنتهى البراعة والمهارة، حسنًا.. ها هو قدْ بدأ في استعادة بعضٍ من ذاكرته السليبة، يبدو أنّ كلّ إحساس قوي يمرّ به يوقظ لديه ذكرى دفينة، لقد تذكّر من قبل داخل ذلك المبنى أنّه رأى الهيكل الخشبي يعلوه رجلٌ يقف أمام ميكروفون ويهتفُ قائلًا: الله أكبر، إذًا هذه حقيقة وذكرى مرّ بها بالفعل، يجب عليه أن يجمعَ كلّ هذه الذّكريات كقطع البازل ليحلّ اللّغز الكبير إلى ما هو فيه الآن، حسنًا.. الآن هو يقف بمنتصف الحارة، وينظر نحو المنازل الكثيرة الصغيرة والمتكررة، والتي غالبًا يختفي المفتاحُ داخل إحداها، فترى أيّ بيت هو؟

يجبُ عليه أن يجدَ تفصيلة مختلفة توحي إليه بوجوب دخول هذا البيت، وبعد كثيرٍ من الوقت، شعر بالتعب والملل والفشل!

فهو لم يجدْ أيّ تغيير على الإطلاق، ولم يظهرْ له أيّ سلّم، أو حتّى وريقة تتطاير في جنبات الحارة!

لقد مرّ عليه الكثيرُ من المنازل وثمانيةُ سلالم، شاشة ومنضدة، غير هذا لم ترَ عينُه أيّ جديد على الإطلاق، توقّف ولمعت عيناه، رقم ثمانية، السّلالم الكثيرة ربما عددُها يوحي إليه برقم المنزل الذي يجب عليه دخوله، فهذا هو الشّيء الوحيد المختلف من منزل لآخر، نعم هو كذلك بالتّأكيد؛ لذا سيبحث عن المنزل رقم ثمانية، يبدو أنّ هذه هي فائدة التّرقيم للمنازل، نظر إلى رقم المنزل المجاور له فكان (١٤٥) فانطلق عائدًا إلى بداية الحارة من حيث دخل، وبعد كثيرٍ من الوقت والسيْر وصلَ أخيرًا إلى المنزل رقم ثمانية، ولكنْ تساءل: تُرى ما الصواب؟ رقم ثمانية إجمالي عدد السّلالم، أم رقم سبعة عدد السّلالم التي كان فيها حلّ اللّغز الأوّل عن مكان وجود الشّاشة؟ وقع في حيرة وهو لا يدري أيّهما صواب، ولكن بما أنّ أوّل اختيار وقع عليه كان رقم ثمانية، لن يتراجع وسيذهب إليه، وكما توقّع تمامًا بأنّ الباب غير موصد، فما إنْ دفعه حتّى انفتح، ولكن لم يحاول الاستكشاف ليقينه بصوابِ فكرته الذي يقوده إلى الداخل، وما إن خطا خطوتيْن حتّى انغلق البابُ وساد الصّمتُ والظّلام التام، ووقعَ في نفس الحيرة التي وقع فيها عند أوّل هروب له، لم ييأس، وأخذ يستكشفُ أركان الحوائط

متحسّسًا إيّاها بكفّ يده، عسى أن يجد بابًا داخليًا، أو أيّ منفذ يقوده إلى الخطوة التّالية، وبعد الكثيرِ من التحسّس الأعمى لم يجدْ أيّ شيء، الآن أدركَ أنّه قد وقع في الخطأ، لقد كان الرّقمُ المطلوب هو رقم سبعة.

لذا يجب عليه الخروجُ والبداية من جديد، وبالطبع الخروجُ لن يكون إلّا بانقطاع الأحداث وخوض المهمة الجديدة مع فريقه ثمّ الهروب منهم، وهو يعلم طريقة الخروج من محبسه بالغرف المظلمة؛ إنّه النوم، وهذا ما سيفعله الآن.

***

أصبح يعرفُ ترتيبَ الخطوات القادمة، ها هو يهتزّ داخل السّيارة، فتح عينيه بسرعة، وأخذ يرقب ملامح فريقه، ووصلَ لملحوظة غريبة، فالزّي الذي يرتدونه هو نفسه لم يتغيّر أبدًا، حتّى شعر الفتاةِ الناعم والمعقوص للخلف، تنسدلُ منه نفس الخصلة القصيرة بين حاجبيها في نفس الموضع تمامًا، والقلم الذّهبي كما هو تمامًا بجيب قميص القائد العلويّ تجاه اليسار، ورغم القتال الكثيف والحركة الدّؤوبة لم يتحرّك هذا القلم من موقعه، وجميع الملابس مهندمةٌ تمامًا كأنّما تمّ إخراجها من أسفل المكواة في التّو والحال!

أيضًا كلّ منهم يجلسُ في موضعه، ولم يحدث أنْ تبادل أيّ منهم موقعَه بالسيارة مع آخر، سيحفظ هذه الملحوظات الصّغيرة عسى

أن تنفعه فيما بعد، أو تكون ترسًا صغيرًا في ماكينة حلّ اللّغز المحيط به، ولأوّل مرّة بدأ يراقب الطّريقَ الذي تنطلق به السّيارة، كان طريقًا متّسعًا، ولا توجد سيارة أخرى غيرهم، والمنازل كبيرة وعالية ترتكنُ أمامها سيارات قاطنيها غالبًا، وبعض الأشجار الصّغيرة، وبينما القائد يهتف بحماس عن المهمّة القادمة، دقّق النظر ووجد نفسَ الملحوظة التي وجدها بالحارة، لقد كانت كلّ المنازل متكرّرة بشكل متطابق جدًّا، بل نفس السّيارة ونفس الشّجيرة أمام كلّ منزل، فقط بعضُ ألوان السيارات قد تختلف، إنّما هي نفس الماركة والحجم!

حتمًا هناك سرٌّ كبير خلف هذا التكرار، وسوف يصل إليه بتكثيف الملاحظات وتجميعها مع بعضها البعض.

بالطّبع، كانت المهمّة هي قتلَ الكثير من البشر، ثمّ غنيمة محمّلة بصناديق من أحد المصانع الكبيرة، اشترك في القتال بحماسٍ كبير كي ينتهي من المهمّة التي لا بدّ أن يتمّها مع زملائه حتّى يذهب إلى الخطوة التالية، إلى مهمّته الشخصية التي يجب أن ينجح فيها هذه المرّة باكتشاف شيء جديد يساعده في رحلةِ بحثه عن حقيقته، ويمثل المرّة السّابقة، قفز من السيارة قبل أن تزيد من سرعتها، ولكن توقّف مكانه ليرى ماذا سيحدث هل سيتوقّف زملاؤه لالتقاطه.. وهل سيجبرونه على الصعود معهم؟

والغريب أنّ السّيارة زادت سرعتها وانطلقت كأنّما اعتاد زملاؤه على هروبه، وقد أصبح أمرًا معتادًا لهم، فرح بذلك وظلّ ينظر إليهم حتّى اختفت السيارة عن بصره، وبدأ يدقّق البصر في تفاصيل الشّارع الكبير الذي يقف فيه هذه المرّة، كان يمتدّ إلى الأفق كأنما هو بلا نهاية، وبالطّبع، التّكرار لكلّ التفاصيل كما هو الحال الذي وجدَه في تلك الحارة بالمهمّة السابقة، نظر نحو المبنى العالي الذي يقف أمامه، يبدو كأنّما هو مكوّن من ثلاثين طابقًا تقريبًا، ستكون فرصة جيدة له كي يصعد إلى أعلاه ومن خلال السّطح المرتفع يمكنه أنْ ينظر ويرى الكثير من التّفاصيل التي تحيط بهذا المكان، ولهذا اندفعَ إلى داخل المبنى والذي كان بابُه مفتوحًا، وله مصعد إليكتروني، لم يتردّد في استقلاله حتّى الطّابق الأخير، صعد به.. وفي خلال دقائق وصل إلى النهاية، خرج منه إلى السّطح الذي كان فارغًا تمامًا، ولامعًا جدًّا بمثل ما وجدَ في شرفةِ ذلك المنزل الصّغير بالحارة السّابقة، أصبح هذا أمرًا اعتياديًا له، لهذا توجّه نحو الحافة وأخذ يدقّق البصرَ يمينًا ويسارًا ليرى أسطح المباني المتشابهة والمتكرّرة، ولكن على مدّ بصره رأى شيئًا هامًا جدًّا، لقد رأى ذلك العمود الأسطواني الضخم الذي يحمل أعلاه هلالًا، لقد كان هذا العمود أحدَ أهمّ معالم ذلك المبنى الذي شارك في الهجوم عليه بالمهمّة السّابقة، إنّه المبنى الذي تهتزّ مشاعره بقوّة عنده، والذي بداخله عادت له بعضُ الذّكريات عن حقيقته، لا يدري لماذا يشعر

برغبته الشّديدة أن يذهب له الآن، ترى كيف حاله بعد الهجوم الكثيف والهزيمة التي مُني بها بعد القتال السابق، أخذ يرصدُ ويحدّد الاتجاهات حتّى علم كيف سيصل إليه، وأسرع في النّزول عبر المصعد الإليكتروني، الآن سيتوجه ناحيةَ اليمين حتّى مسافة تقارب الخمسمائة مترًا، ثمّ ينحرف يمينًا مرّة أخرى، ويسير في خطّ مستقيم حتّى يظهر له العمود الأسطواني الكبير، والذي يقارب ثلاثين مترًا في الارتفاع، ويعلوه الهلال المميّز له، أخذ يجِدُّ السّيرَ بخطوات سريعة، وقد ظهر له المبنى بالفعل، شعر بفرحةٍ كبيرة أنّه قد اقترب منه، وأخذت ومضاتُ الذّكريات تظهر له، رأى الكثير من النّاس يرتدون الزيّ الأبيض الطّويل، يمسكون بيد أطفال صغار يرتدون نفس الزي وهُم يتقافزون بفرح، وبيدهم الأخرى يمسكون بخيطٍ رفيع وطويل يعلوه البلالين الملوّنة، والجميع يتوجّهون نحو المبنى، تعلو وجهَهم البسمةُ الهادئة الطيبة الجميلة، وآخرون يصافحون بعضهم البعض، ويقبّلون أطفال الآخرين بمنتهى المحبّة، اختفت الومضات.. ولكن تركت بداخلِه شعورًا جميلًا أحبّه بقوّة، يشعر أنّه مرّ بالفعل بهذه الذّكرى وقد حدثت معه، يتمنّى أن تعود ومضات الذّكريات لتبثّ له بقية الأحداث.. وماذا حدث.. وما الذي جرى بعد وصولهم إلى ذلك المبنى، ولكن كيف وافقَ وتيسّر له أنْ يقاتل هؤلاء الناس ويقتلهم ليغتنم أسلحتهم، فهم يبدو عليهم الطّيبة الودودة، لا يمكن أن يكونوا بهذه الوحشيّة

التي ظهروا بها أثناءَ المعركة السابقة، تُرى ماذا سيحدث له الآن عندما يذهب إليهم؟ هل سيعرفونه ويقتلونه؟

لا يدري!

ولكنْ سيذهب ويرى، فهذا المبنى له مكانةٌ خاصّة جدًّا من بين جميع المباني التي ذهب إليها أو تعامل معها، فهو المبنى الوحيد الذي تتغيّر مشاعره عندما يراه، وكذلك تستثارُ الذّكريات معه، يبدو أنّ الكثير من مفاتيح اللغز موجودة بداخله، برقت عيناه، ترى هل يمكن أن يكون المفتاحُ الذهبي هناك؟

سيرى الآن.. فها هو قد اقتربَ منه، كان المبنى سليمًا تمامًا كأنّما لم يتعرّض للقتال من قبل، كان لامعًا وأنيقًا، ولا يوجد مخلوق بجواره!

اقتربَ ببطء وهو يتوجّس، ويخشى أن تنهال عليه الرّصاصاتُ من الداخل في أيّ لحظة لتقتله، ولكن لقد اخترقته الرصاصات من قبل أكثرَ من مرّة، وفي الرأس، ولم تقضِ عليه، إنّما عاد به الزمن إلى ما قبل حدوث الموت المستحقّ، لا يدري حتّى الآن ما هو سرّ ذلك، لهذا فرَدَ قامته، وتوجّه ببطء نحو باب المبنى وهو لا يخشى الموت، فلو حدث فهو موتٌ مزيّف ستعود به الأحداثُ إلى دقائق قبل وقوعه، وصل إلى الباب ولم يقع له أيّ مكروه، دفعه لينفتح بسهولة معه، وعندما همَّ بالدّخول ومضت ومضةٌ قويّة برأسه، لقد كان يدخل مبنى مشابه،

وقبل دخوله خلع حذاءه من قدميه ودخل إليه حافيًا، رائع جدًّا.. ها هي الذكريات بدأت في العودة إليه بومضاتها، فعلَ مثلَ ما تذكّر، خلع حذاءه ودخل حافيًا، وبالدّاخل وجد أعجب مشهدٍ يمكن أن يخطر بباله، لقد كان هناك الكثيرُ من هؤلاء الرجال المتوحشين، والذين يشعر من ذكرياته أنّهم ليسوا بمتوحّشين!

كانوا متراصّين في صفوف، ويستلّون أسلحتهم، وأعينُهم تحمل نظرةً بغيضة قاسية وبملامح كريهة، يبدو عليهم أنّهم بالفعل مجرمون، ويجبُ قتلُهم!

ولكنّ وقفتهم في صفوف هذه أرسلت ومضة أخرى من ذكرياته، لقد رأى نفسَ الصفوف ولكن بلا أسلحة، وكانوا يعقدون سواعدهم أمامَ صدورهم، والبعض تسيل من عينيه الدّموع، ويظهر على وجهه ملامحُ الخوف بشكل كبير!

أصبح غارقًا في الحيرة لا يدري أين الصواب، هل هم بمثلِ ما يرى الآن أم أنّهم حقيقتهم تناقض هذه الصورة بمثل ما يظهر في ومضات ذكرياته؟!

انتبه لشيء عجيب لم يلاحظْه بينما هو غارق في الحيرة بين واقعه الحالي وبين ذكرياته، فرغم عددهم الكبير، وأسلحتهم التي بأيديهم؛ لم يتحرّك أحدُهم بأيّ ردّ فعل نحوه، بل هم فقط يقفون في صمتٍ عجيب كأنما لم يروه!

وقفتُهم جميعًا في صفوفهم منتظمة بمنتهى الدّقة، ويستلّون الأسلحة بكلتا يديهم، ولولا أنّ أعينهم كلّ عدة ثوانٍ تقوم بالرمش، لظنّ أنّهم نيامٌ!

ما سرّ هذا الصمت؟

نادى على أحدهم قائلًا:

- هاي.

ولم يتلقّ أيّ رد!

هزّه من كتفه، ونفس الصّمت والسكون، لقد كانت خشيته أنْ يتمّ قتله على أيديهم، وها هو الآن يتمنّى أيّ ردّ فعل منهم نحوه.

نزعَ السّلاح من يد أحدهم ، وكأنّما الرجل لم يشعر به، فقدْ ظلّ على نفس وقفته؛ بل وبنفس قبضة يديه كأنّما السّلاح مازال بحوزته!

رفع السّلاحَ نحوهم كأنّما يهددهم به ليرى هل سيبدؤون تبادلَ النيران معه أم لا، وبالطّبع لم يحدث شيء كأنما هو شيء خفيّ بالنّسبة لهم، وضع أصبعه على الزّناد وهمّ أن يضغطَ عليه، ولكنّ مشاعره تأبى ذلك بقوّة، وبالرغم من ذلك صارع مشاعره تلك وتجاهلها؛ ليصل إلى بغيته وضغطَ الزّناد بالفعل محرّكًا السّلاح يمينًا ويسارًا ليقتل أكبرَ عددٍ منهم عسى أن يتحرّك البقية، ولكن ما حدث كان أعجبَ من كلّ

ما فات، فقد انطلقت الرصاصات بقوّة وغزارة، وبصوتٍ عال يكاد يصمّ سمعه، ولكن اخترقتهم دون نقطةِ دمٍ واحدة، ودون حتّى اهتزاز أحدهم، كأنّ ما يفعله لا أثر له، وكأنّ رصاصاته هذه وهمية، أو ربّما هم أشخاص وهميون، قد يكونون صورًا هولوجرافية، ولكنّ السّلاح بيده الآن حقيقة يلمسها بقوّة، وكذلك عندما هزّ كتفَ الأوّل كان محسوسًا جدًّا، ذهب ليدفع أقربَهم إليه عسى أن يقع، ولكنْ لم يحدث، زادت الحيرة ظنّه بأنّه سيجد بعض الأجوبة هنا!

حسنًا.. لقد وصل ليقينٍ أنّه لن يصل لشيء من خلال كلّ هؤلاء الرجال، فذهب مباشرة إلى ذلك الهيكل الخشبي الذي ومضت عنده أولى الذكريات، وفتح الباب أسفله، ليجدَ الكثير من صناديق الأسلحة والذّخيرة، لقد اغتنم هو وفريقه كلّ هذه الصّناديق من قبل، فمن أين أتت، وكيف أمكنهم تجديدُ البناء وتسليح أنفسهم مرّة أخرى بهذه السّرعة؟

ولكنّه لا يدري كم مرّ عليه من الوقت، فهو دائمًا في نهار ولم يرَ ليلًا أبدًا!

تُرى كم من الوقتِ يمرّ عليه عندما تنقطع الأحداث؟

لا يدري!

بل يوجد شيء آخر أكثرُ عجبًا، فهو لم يتناول طعامًا قط، ولم يتجرّع أيّ مشروب، ولو حتّى رشفة من ماء منذ بدأت معه هذه الأحداث، بل ولم يشعرْ بالجوع أو العطش مطلقًا، فكيف يحدث هذا؟!! هل هذا سبب عدم احتياجه لدخول الحمّام؟

هزّ رأسه لينفضَ هذه الأفكار الآن، وأخذ يبحث بين الصّناديق عسى أن يجد المفتاح الذّهبي، وبعد كثير من العناء والتّنقيب لم يجد شيئًا، فتنهّد بقوّة وقد احتلّه إحساس بالخيبة، لقد كان أملُه بأنه سيجد الكثير من الأجوبة هنا في هذا المبنى الخاصّ، ولكن لم يصل لشيء.

ولكن، يمكنه العودةُ إلى تلك الحارة التي وصلته فيها رسالةُ البحث عن المفتاح الذهبي، فهي قريبة من هذا المبنى، لقد قفز من السّيارة أثناء العودة من اقتحام هذا المبنى والفوز بما فيه، وكانت قفزته من السيارة من نقطة قريبة جدًّا قبل أن تبتعد السيارة عنه، لذا من السهل عليه الذّهاب إليها الآن، وبما أنّ اختياره للمنزل رقم ثمانية كان خاطئًا، فحتمًا اختيار المنزل رقم سبعة سيكون هو الصّحيح، وهذا ما سوف يجربه الآن.

انطلقَ بخطوات سريعة في طريق ذهاب السيارة بعد انتهاء تلك المهمّة، وعند النّقطة التي يذكر أنّه قفز فيها، انحرف ذاتَ اليمين، وذهب إلى الحارة التي ظهرت له؛ والتي يظنّ بأنّها هي التي تلقّى فيها

رسالة البحث عن المفتاح الذّهبي، سعى للبحث عن المنزل رقم سبعة، وقد كان قريبًا، فدفع الباب وظلّ بالخارج ليدخل برأسه فقط ناظرًا وباحثًا عمّا بالدّاخل، واتّسعت ابتسامته بقوّة، فقد كان المنزلُ المختار بالفعل، فأمامه وبمنتصف الغرفة يستقرّ بمنتهى السّكون صندوقٌ خشبي كبير، وحتمًا يحوي بداخله المفتاحَ الذّهبي المزعوم.

***

أخذَ يضرب الحائط برأسِه بقوّة وهو يصرخ، لقد كان هذا فوقَ احتماله، لماذا يلاحقه الفشلُ بهذه الطريقة وباستمرار!

لقد كان الصّندوق أمامَ عينيه بمنتصف الغرفة، وبحجمه الكبير، ما إنْ دخل بمنتهى الثّقة واليقين نحوه حتّى انغلق بابُ المنزل، وساد الظلام، لم يفرق معه ذلك في شيء، فهو يعرف موضعَ الصّندوق، تحرّك خطوات للأمام ببطء، وبعد كلّ خطوة يمدّ قدمه ليتحسّس الصندوق بها؛ كي لا يصطدمَ به، ولكنْ سار مسافة تتجاوز موضعَ الصندوق.. ولم يجدْه!

ظلّ منطلقًا حتّى وصل إلى السّور المقابل ولم يلقَ شيئًا!

جثا على ركبتيْه وأخذ يحبو كأنّما هو طفلٌ صغير، وأخذ يتحسّس الأرضَ بيديه ويحرّكها يمينًا ويسارًا، وجالَ بكلّ سنتيمتر في المكان، وأيضًا لم يجد شيئًا!

ما هذا العبث! أين ذهب ذلك الصندوق؟ وكيف اختفى هكذا فجأة في خلال ثوانٍ ما بين انغلاق الباب ووقوعه في الظّلمة؟

ومضتْ ومضةٌ برأسه شعرُ فيها بنفسه يجلس على كرسي وأمامَه حاسوب، وهو منغمسٌ في إحدى الألعاب عليه، كانت اللّعبة مكوّنة من شخصٍ داخل الحاسوب يقوم جاك بتحريكه من وقوفه على صناديقَ خشبية موزّعة داخل بركة مائيّة كبيرة، ويقفز من إحداها للآخر، وأمامَه على البرّ الذي يجب الوصولُ إليه بابٌ ينغلق ببطء، يجب عليه القفزُ بسرعة قبل انغلاق الباب ليعبر إلى الجانب الآخر من خلاله، وبينما هو يتقافز تتحرّك الصناديق لتعيقه وتبطئ حركتَه، ولكنّه كلّما وقع يبدأ من جديد، ويتقافز بينها، وقد ازدادَ خبرة، وبدأ يحفظ حركةَ الصّناديق غير العشوائية، وبعد أربعِ محاولات استطاع بالفعل أنْ يلحق بالباب قبل أنْ ينغلق ويعبُر منه، ثمّ ظهرت له بالإنجليزية جملة (أنت الفائز).

اتّسعت عيناه ذهولًا بعد أنْ جاءته هذه الذّكرى بومضات طويلة، فنفسُ مشاعره في تلك الذّكرى هي التي يشعر بها الآن، شعورٌ بالخيبة والغيظ، وأنّه يجب عليه أنْ يعيد كلّ الخطواتِ من جديد، ويجبُ عليه القفزُ بسرعة قبل أن ينغلقَ بابُ المنزل خلفه؛ ليمسكَ بالصندوق قبل أن يسود الظّلام، ولكن لِمَ هذا التعقيد!! ومَن الذي وضع هذه

القاعدة هنا!؟ هناك في اللّعبة وضعت القواعد لتفرق بين المهارات؛ فمَن هو ماهرٌ يفوز، ومَن هو ضعيف يقع، ما الهدفُ هنا في العالم الحقيقي؟!

الحقيقي!!

وقعتْ كلمة الحقيقي منه موقعًا عجيبًا، مَن قال بأنه في العالم الحقيقي؟

حتمًا هذا حلمٌ عجيبٌ وكبير يعيش فيه أحداثًا غير حقيقيّة، ولهذا تأتيه ومضاتٌ من عالمه الحقيقي، وتبثّ له ذكرياته، ولكنْ لمَ يطول هذا الحلم بذلك الشكل العجيب؟!

هذا أكبرُ حلم معقّد يمكن أن يقع فيه، حسنًا.. هو الآن يريدُ الخروج منه، فماذا يفعل؟

أخذَ يفكّر، ويحاول التذكّر ما هو أكثر شيء كان يوقظه من أحلامه، ولكنْ كانت ذاكرته شبه ممسوحة، فهو لا يذكرُ حتّى ما اسمُه الحقيقي، وهل اسمه جاك بالفعل أم له اسمٌ آخر!

غالبًا أيّ شيء يسبّب له الألم سيوقظه من أحلامه، ولكن لقدِ اخترقت الرّصاصات رأسه، ولم تصبْه بأيّ ألم، وإنما عادتْ به الأحداث دقائق ليستكمل الحلمَ الغريب هذا!

ربّما كانت قوّة وسرعة انطلاق الرصاص لا تسبّب ألمًا بالفعل، وعقلُه الباطن كان راغبًا في الاستمرار، لهذا تجاهلَ عقله ذلك الألمَ إن كان موجودًا، وعاد به إلى نقطة استكمال الحلم، نعمْ هو كذلك، إذًا الحلّ الآن القيام بشيء يسبّب له ألمًا كبيرًا فيستيقظ من حلمه.

ما الذي يمكنُ أن يسبّب له ألمًا عظيمًا وقاسيًا؟

إنّها النار، لا يوجد أشدّ من ألمها؛ لهذا كانت عقاب المجرمين في الآخرة، توقّف كثيرًا عند فكرته الأخيرة هذه، كيف علم بأنّ هناك آخرة، وفيها عذاب وعقاب للمجرمين بالنار؟!

الآخرةُ كما وردت بذهنِه وهو يتفكّر في ذلك؛ هي حياة ثانيةٌ تأتي بعد انتهاء الحياة التي يعيشها الآن، وهي حياة أبديّة، وليست مؤقّتة تنتهي بالموت، ولا يوجد فيها شيخوخةٌ أو أمراض ولا كوارث، وإنّما نعيمٌ كبير لَمن كان عملُه جيدًا وصالحًا في الحياة الأولى، وعقاب شديد بالنّار ومستمرّ لَمن كان مجرمًا ومخطئًا أخطاءً كبرى.

فتلك الحياةُ التي يعيشها الجميع، والتي يسودها المشاكل والأمراض، وحتمًا تنتهي بالموت مهما طال عمر الفرد فيها؛ هي حياةٌ لا تستحقّ أن يحرص عليها مخلوق، وإنما من الذّكاء أن يتفكّر في الآخرة ليعيش نعيمًا أبديًا فيها.

هذا يقينٌ داخلي مترسّخ عنده، فكما يعلم بأنّ القدمين يساعدانه على السّير بشكل تلقائي ولا يحتاج إلى ذاكرته لمعرفةِ ذلك، فقد وجدَ داخله يقينًا بهذه المبادئ.

وبما أنّ هناك أكثرَ من حياة، فحتمًا هذه الحياة التي هو فيها الآن حياةٌ وهميّة غير حقيقية، ولهذا مليئة بكلّ العجائب التي يحصيها كلّما مرّ عليه الوقت، لن يتعجب من أيّ شيء بعد الآن حتّى يخرجَ منها إلى حياته الحقيقيّة، حسنًا.. يجب عليه الآن قطعُ الأحداث ليعود مع زملائه إلى المهمّة التالية، وربّما أثناء هذه المهمّة يجد نارًا كبيرة فيلقي بنفسِه فيها، حتّى تسبّب له الألم الكبير الذي يوقظه من حلمِه وأوهامه التي لا تريد أن تنقطع!

***

ها هي السّيارة تهتزّ وهي منطلقة (بفريق السّكمنتو) ذلك الاسم الذي لا يدري ما معناه، ولا مَن أطلقه على الفريق، ومتى أو لمَ تشكّل هذا الفريق أصلًا؟!

فتحَ عينيه ببطء وملل، وأخذَ ينظر لملامح الفريق بلا شغف، حتّى الملامح الجميلة للفتاة لم يعدْ يرغب في التطلّع إليها، وذهبتْ عينه نحو القلم الذّهبي البارز من جيبِ القائد العلويّ ناحية اليسار، إنّه نفسه بلا أيّ تغيير مطلقًا، حسنًا.. تُرى ما هي المهمّة هذه المرّة؟

القائدُ يهتف بقوّة قائلًا:

- يجبُ أن نختطف خمسةً من الجنود.

أتتْه الفكرة، ولمعت عيناه وهو يقول:

- ما رأيك أنْ نحرق أحدهم، ونذبح الثّاني، ثمّ نختطف الثلاثة الباقين؟

ارتبكَ القائد بقوّة، وتردّد قبل أن يقول نفس جملته مجدّدًا:

- يجبُ أن نختطف خمسةً من الجنود.

قال بإصرار:

- حسنًا.. نحرق أحدَهم فقط، ونختطف الأربعة الباقين.

بنفسِ الارتباك والتردّد، قال القائد:

- يجبُ أن نختطف خمسةً من الجنود.

أوشكَ أن يداهمه الإحباطُ الذي يعتريه بعد كلّ مرّةِ فشل، ولكنْ لمعت عيناه مجدّدًا، وقال:

- حسنًا.. سنختطف خمسةً من الجنود، ولكن سنشعلُ النّار في المكان قبل أنْ ننصرف.

هزّ القائد رأسَه مبتسمًا، وقال:

– سوف نختطف خمسةً من الجنود يا جاك.

يبدو القائد كأنّما هو دمية آلية تردّد جُملةً ثابتة لا تعرف غيرها.

بمجرّد أن واتته هذه الخاطرةُ هاجمته ومضات ذكرياته، فهو يرى نفسَه جالسًا أمام شاشة كبيرة لتلفاز ذكي، ويُعرض عليه أحدُ أفلام الخيال العلمي، في ذلك الفيلم تمّ استبدال البشر بعددٍ يماثلهم من الآليّين ذوي الذكاء الصّناعي، وكلّ آليّ متّصل بعقل صاحبه الذي اشتراه، وعلى حسب تفكير صاحبه النّائم في بيته يتحرّك ويتكلّم ويفعل كلّ شيء، وكان هناك القليلون من البشر الحقيقيّين بين هؤلاء الآليّين، هل يعقل أن يكون الآن داخلَ تجربة علميّة حقيقيّة لشيء مماثل؟

لقد حقنَه أحدُهم بعقار يزيلُ ذاكرته، ثمّ ألقى به في تجربة علميّة يكون هو فيها البشريّ الوحيد بين الكثير من الآليّين الذين يتصرّفون بذكاء صناعي!

لهذا تحدُث كلّ العجائب حوله!

الآن أمامَه أحدُ احتمالين؛ إمّا أنّه في حلم مركب عجيب يعجز عقلُه عن الخروج منه، ولهذا سيبحث عن مصدر للنّار حيث ظنّه بأنّ آلام

حرقها هي سبيل ذلك الخروج، أو أنّه في تجربة علميّة غريبة، ولا يدري كيف يخرج منها!

حسنًا.. سيبحثُ أوّلًا عن مصدر للنّار أثناء هذه المهمّة التي هُم في الطريق إليها، فهُم بعد قليل سيهاجمون وحدة عسكريّة، ويختطفون منها خمسةَ جنود، ولكنْ أليس هذا فعلًا إجراميًّا لا شكّ فيه؟

مَن قال بأنّ هؤلاء الجنود ينتمون إلى معسكر الأعداء؟

انطلقَ الوميض مجدّدًا ليسمع بثًّا ينطلق من مذياع عبارة عن موسيقى عسكريّة حماسيّة، وصوت قويّ يهتف بعمق قائلًا:

- شرفُ العسكرية ما يدفع الجنودَ للدّفاع عن الوطن بأرواحهم، فهُم على استعدادٍ لبذل الرّخيص وكلّ غالٍ فداءً لحفظ هذا الوطن العزيز وأمنِه وسلامته.

كانت مشاعرُه المصاحبة لتلك الومضة التي انتهتْ سريعًا مشاعرَ بها الكثيرُ من الفخر أنّ لبلده جيشًا قويًّا يحميها، وأنّ جنوده هؤلاء أبطالٌ عظام.

فكما كانت ذكرياتُه هي التي أوحتْ إليه بأنّ الرجال ذوي الرّداء الأبيض الطويل ليسوا بمجرمين أو وحوش كما يبدو عليهم هنا، وأنّهم لا يستحقّون القتل، فها هي توحي إليه بأنّ الجنود كذلك قتلهم جريمة، وفعلٌ يوجبُ العذاب بالآخرة في النّار؛ في حياة حقيقيّة وأبدية!

لهذا كيف يوافق على المشاركة في هذه الجريمة؟!

ألا يخاف نارَ الآخرة؟

ألا يرغبُ في النعيم الحقيقي والدّائم فيها؟

ولكنّه هنا مُجبرٌ على مطاوعة الأحداث والسّير معها؛ حتّى يمكنه الانتهاءُ والذّهاب إلى الخطوات التي تساعده في حلّ اللّغز.

ولكنْ كيف يتمّ إجبارُه على فعلِ ما لا يؤمن به ولا يقبّله؟

كيف يقبل بأنْ يقتل مَن لا يستحقّ القتل، ويصف الطيّبين بأنّهم مجرمون؟!

مهْما كانت الغاية التي يريدُ الوصول إليها فلا يحقّ له فعل ذلك، يجب عليه دائمًا أنْ يقبل فقط ما يراه حقًّا، ولا يفعل إلّا الصواب.

يتمنّى الانتهاء من كلّ ذلك، والخروجَ من هذا الحلم الغريب حتّى لا يقع مرّةً أخرى في هذا الفخّ؛ وهو إجباره على قبول الخطأ مهْما كان.

بدأ إطلاقُ النّار على الثّكنة العسكرية، وتساقط الكثير من الجنود قتلى أمامه، وهو يشعرُ بالأسى لا الفرح، يذكر في أوّل عملية له مع الفريق أنّه كان منتشيًا وسعيدًا بهذا القتل والفوز بعده، أمّا الآن فقد تعكّرت مشاعره بعد يقينه من خطئه الذي لا يبرّر له أيّ شيء، حتّى ولو كان القتل وهميًّا وغيرَ حقيقي.

رأى سيّارة وقودٍ كبيرة تقف بجوار أحدِ مباني تلك الثكنة، فترك القتالَ، وتوجّه نحوها، وأخذ يطلق عليها النّار بكثافة، وكما توقّع تمامًا، فقد انفجرت بقوّة واشتعلت فيها النّيران، فأسرع نحوها ليلقي بنفسِه وسط تلك النيران، ولكنْ قبل أن يصلها بثانيةٍ واحدة اختفت السيّارة تمامًا!

ضربَ الأرض بقوّة وغيظٍ شديد، لقد فاتته الفرصة، كان يجبُ عليه الإسراعُ قبل ذلك، هو الآن لا يتعجّب من اختفائها، فهو يعلم بأنه في عالم وهميّ يصنعه عقله داخل الحلم، والفوز يتطلّب منه السّرعة، جاءته الفكرة فلمعت عيناه وابتسم، كان القتالُ قد انتهى، وبقيّةُ الفريق يقتادون الجنودَ الخمسة، كان يرغب في الوقوف أمام مرمى النيران لتصيبَه إحدى الرصاصات، وبدلًا من أن تقتله تعاد الأحداث مرّة أخرى قبل دقائق فيقتربُ من شاحنة الوقود أكثرَ كي يلحقَ بنيرانها قبل الاختفاء، ولكنْ ماذا سيفعل الآن بعد توقّف القتال، والفريقُ يهتف بسعادةٍ عقب فوزه في هذه المهمّة؟

نظرَ نحو سلاحه، وابتسم بقوّة، نعم هذه هي الفكرة، فقام بتوجيه فوّهة سلاحه نحو رأسِه وضغط على الزناد،

اهتزّت رأسه بقوّة، وشعر بشيء يسير خلالها، ثمّ انقطعت الأحداث.

***

هذه المرّة ينتابه صداعٌ كبير بمثل ما جاءه في أوّل مرّة فتحَ فيها عينيه، وشعرَ باهتزاز السيارة، يبدو أنّ الوقت لم يعدْ إلى بضع دقائق كما حدث في السابق عندما تصيبه الرّصاصات، هل يفرق في الأحداث مقتله على يد الأعداء أو أنْ يقوم هو بقتل نفسه؟!

على أيّة حال لا توجد مشكلةٌ كبيرة، فقد عاد إلى بداية المهمّة، المهمّ أن ينجح في اللّحاق هذه المرة بنيران اشتعال الحافلة، فتح عينيه، وكان الفريق كما اعتاد ويعلم يقينًا كلّ بموضعه، والقائد يهتف قائلًا:

– استعدّوا، لقد أوشكنا على الوصول، المعركة ستكون حاميةً جدًّا هذه المرّة، أيّ تردّد يعني ضياعَ أحدنا، سنحصل على الجوهرة في أقلّ من الدّقائق الخمس، قبل أنْ يصل الدعم إليهم.

ما هذا؟!

السّيارة لا تنطلق في الشّارع المتّسع الذي كانت تنطلق فيه قبل الوصول إلى الثّكنة العسكرية، إنّما وسط طريق شبه ممهّد، وسط غابة كثيفةِ الأشجار!

لقد تكرّرت هذه العبارة التي نطقها القائدُ منذ قليل بحذافيرها في مهمّته الأولى، تلك المهمّة التي شاركهم فيها للحصول على الجوهرة، المفترض أنّه مشارك الآن في عمليّة مختلفة وهي اختطافُ خمسةٍ من الجنود، لمَ تبدّلت؟!

همّ أنْ يهتف سائلًا القائد عن ذلك، ولكن سبقَه الرّجلُ قائلًا:

- وأنتَ يا جاك، تعرف دورَك جيدًا، التّأمين الخارجي، سيارة تمشيط المنطقة الدوريّة الخاصّ بهم ستأتي في خلال دقيقة ونصف بعد سماع صوت الرّصاص، دورك هو القضاءُ عليها بكلّ مَن فيها.

ما تلك الإعادة السّخيفة؟!

إنّها نفس الجُملة الثّانية التي نطق بها القائد عندما حاول سؤاله المرّة الأولى عن سرّ وجوده معهم، لقد عاد به الزمن لأبعدَ من عدّة دقائق كما كان يتمنّى، لقد عاد إلى نقطة البداية الأولى التي حدثتْ عندها كلّ هذه العجائب الغارق فيها الآن، ولكنّه يذكر كلّ ما فات هذه المرّة، منذ تعرف على هذا الفريق ومرافقته في كلّ المهمّات السابقة، ولكن يبدو عليهم أنّهم لا يذكرون شيئًا، هو الوحيد الواعي بينهم لما يجري، وهو الوحيدُ الذي يلاحظ كلّ العجائب التي جعلته يوقنُ تمامًا أنّه في حياةٍ وهميّة غير حقيقية، لقد حاولَ الاستيقاظ من حلمه فعاد ليبدأ جميع الخطوات من نقطةِ الصّفر، هو الآن يعلم تسلسل الأحداث القادم، وبين حيرته ودهشته وأسئلته الكثيرة، مازال بين أمرٍ من اثنين؛ إمّا أنّه في حلم، وهذا يمكنُ الخروج منه بالاحتراق في النّار، أو أنّه في تجربة علمية لا يعلم عنها شيئًا، لقد حاولَ التيقّن من الأولى ففشل،

وعاد خطوات كثيرة للخلف، لذا سيحاولُ الآن التيقّن من الثّانية، ولكن كيف سيكون ذلك؟!

أفرادُ فريقه حتمًا ليسوا بشرًا مثله، غالبًا هُم آليون تمّت برمجتُهم لمشاركته تلك المهامّ الوهمية، وهناك مَن يرصد إشاراتِ عقله، ويعلم بكلّ ما يجري معه، ويكتب حساباته ونتائج التّجربة التي يتمنّى الخروج منها بأسرع ما يكون، وأنْ يصفع مَن وضعه فيها.

حسنًا.. الحلّ الآن محاولة كشفِ حقيقة فريقه، سيذهب الفريقُ لسرقة الجوهرة، والمفترضُ أنّه سوف يقضي على الفريقِ القادم في سيارة الدّعم بمثل ما فعل في المرّة السّابقة، الحلّ أنْ يقتل هو أفرادَ فريقه، وبعد اختراق الرّصاصات لهم ستظهرُ حقيقتهم، هل ستسيلُ منهم الدّماءُ أم ينطلقُ خارجهم الكثيرُ من الصفائح المعدنية والأسلاك الكهربية والموصلات الإليكترونية؟

سيرى الآن، توقّفت السيارة بقوّة، واندفع للأمام بسبب القصور الذاتي كما حدث في المرّة السّابقة، وبسرعة- وقبل أن يقفز الفريق- قام بتوجيه سلاحِه إلى أقربهم، ولكنّها كانت الفتاة، كاد يطلقُ الرّصاص عليها، ولكن وجد بداخلِه مانعًا يصدّه عن ذلك، ليس لأنّها جميلة ويرغب في الحديث معها، ولكنْ لأنّها أنثى، ويوجد بداخله أخلاقيّات مترسّخة رغم ضياع ذاكرته، هذه الأخلاقيات تمنعُ قتلَ الأنثى!

لهذا وجّه السّلاحَ بسرعةٍ نحو فردٍ آخر، وفتح النار لتخترقَ الكثيرَ من الرّصاصات رأسه، ولم يحدث ما توقّع، فقد اهتزّ زميله في الفريق اهتزازًا عجيبًا كأنّما هو صورة مشوّشة، ثمّ اختفى تمامًا، ويبدو أنّ أحدًا من الفريق لم يلحظْ ما فعل؛ فقد قفزوا من السّيارة مسرعين إلى الداخل حيثُ الجوهرة، اجتاحه شعورٌ بالحيرة الكبيرة، لم يكن هذا الرّجلُ آليًّا، وإنّما هو وهمٌ كبير مثل كلّ هذه الأشياء الوهميّة التي تحيط به، إذًا.. هو بالفعل في حلمٍ كبير معقّد يجب أن يفعل كلّ شيء ليخرج منه.

وبعدَ ارتفاع صوت الرّصاصات التي يطلقها زملاؤه بالدّاخل، وبينما يموجُ في أفكاره ظهرت سيّارة الدعم ففتحَ النار عليها بقوّة حتّى حصد الفريق الذي بها، ولمعتْ عيناه بقوّة، لقد كان ما فعله في أوّل مهمّة أن استمرّ في إطلاق النّار نحو هذه السيارة وهو منتشي بالقضاء على الفريق حتّى انفجرت وارتفع لهيبها إلى السّماء، لا يلزمه اكتمال بقيّة الخطوات ليصل إلى الهجوم على الثّكنة العسكرية، فها هو الآن لديه مصدرٌ للنيران، فاستمرّ في إطلاق النّيران على السيارة بعد أن قضى على كلّ مَن فيها، وهو يسرع الخُطى بقوّة نحوها حتّى يلحق بها فوْر انفجارها، وبالفعل فقد انْفجرت وهو على بعد نصفِ خطوةٍ منها، وبلا تردّد قذف بنفسه إلى وسط اللّهب الكبير المتصاعد منها الى السماء.

***

ألقى بسلاحه على الأرض، وأخذ يصرخ بقوّة، وقد نال منه الإحباطُ مبلغًا لا حدّ له، لماذا يلاحقه الفشل في كلّ خطواته هكذا؟

بعدَ فشل فكرته بأنّه في تجربة علميّة، ومَن حوله هُم مجرّد آليّين مبرمَجين على السّيْر معه، ربّما لدراسة سلوكه أو أيًّا كان هدفُ هذه التجربة، ولكن بعد اختفاء الرجل الذي أطلق عليه النّيران ثبت أنّه لا يعيش أية تجارب، وبهذا أصبح على يقين تامّ أنّه في حلم سيستيقظ منه حين تألّمه بسبب النيران، ولكن بعد أنْ ألقى بنفسه فيها حدث ما لمْ يتوقّعه، وقد فشلت فكرتُه فشلًا ذريعًا!

فقد فوجئ بنفسِه يقفز من السيارة خلف زملائه الذين انْدفعوا إلى الدّاخل لجلب الجوهرة، والأعجب أنّ الرجل الذي قتله كان معهم، كيف عاد!!؟ لا يدري.

لقد حدثَ له مثل ما حدثَ عندما اخترقت الرصاصات رأسَه أوّل مرّة، لقد سافر عبر الزمن بضع دقائق للخلف، والأهمّ من ذلك أنّه لم يشعر- ولو بمجرّد لسعة خفيفة- بسبب تلك النّيران التي كان من المفترض أن تسبب له أذى كبيرًا، وبهذا فقد فشلَ فشلًا ذريعًا هذه المرّة، لن يمكنه الاستيقاظُ والخروج من دوّامة الحلم المعقد هذا عبْرَ هذه الطريقة، ربّما لأنّه ليس في حلم أصلًا!

ولكنْ ما هي الاحتمالاتُ الأخرى لحقيقة الحياة الوهميّة العجيبة التي هو فيها الآن؟

ظهرتْ سيّارة الدّعم الخاصّة بالأعداء، فلم يفعل شيئًا لهم، لقد كان يشعرُ بالخيبة واليأس، وفي حلقِه مرارة بسبب ذلك.

انْهالت عليه الرّصاصات، وبالطّبع لم يكن عجيبًا له أن يجدَ نفسه يقفز من السيارة مرّة أخرى، والقائد أمامه يأمر الفريقَ بالتحرّك السريع لجلب الجوهرة، لمعت عيناه مجدّدًا وقد أتتْه الفكرة الجديدة، مِن أين يأتي القائد بتعليماته نحو هذه المهامّ في كلّ مرّة؟

هذا القائدُ هو المحركُ الرئيسي لكلّ الأحداث هنا، إذًا.. لو كانتْ هناك تجربة فحتمًا سرُّها لدى هذا القائد، وربّما هو الآليّ الوحيد ومَن حوله مجرّدُ صورٍ وهمية مرتبطة به؛ لتوهمه بأنّه ضمن فريقٍ كبير، بينما هو آليّ واحد يدير كلّ هذه العملية، وربّما ترشيدًا للنّفقات لن يرسلوا أكثر من هذا؛ ما دامَ لديه الإمكانات التي تضبط كلّ خطوات التّجربة، الآن لديه الفرصة لاكتشاف ذلك، رفع سلاحه وأطلقَ زخّات مستمرّةً من الرّصاص نحو رأس هذا القائد.

***

وقد كان ردُّ الفعل مختلفًا تمامًا عن مقتل الرّجل العادي في المرّة السّابقة، كان لديه يقينٌ بأنّه سيرى التروس المعدنيّة والدوائر الإليكترونية تتطاير

من هذه الرأس، ولكنْ ما حدث كان شيئًا آخرَ تمامًا، فقد انقطعت الأحداثُ وعادت لنقطةِ الصّفر مرّة أخرى، وها هو القائد مجدّدًا يشرح خطّة الهجوم لجلب الجوهرة، من بين جميع مشاعر الإحباط واليأس رفع سلاحه وانْهال بالرّصاص مرّة أخرى على ذلك القائد الذي أصبح يكره صوتَه تمامًا، وبالطبع عادت الأحداثُ من نقطة الصّفر مرّة أخرى، جلس منكّسَ الرّأس، وهو يكاد يبكي ولا يدري ماذا يفعل، لقد أغلقتْ أمامه جميعُ الأبواب، لقد ملّ من كلّ شيء، ولم يعد يرغبُ في أيّ شيء، لقد فقد حتّى الرّغبة في معرفة تلك الحقيقة التي يشعر بالعجز التّام بسببها، فكلّما ظنّ بأنّه قد اقترب من الحلّ تتعقّد الأمور أكثر، ويلاحقه الفشل مرّة تلو أخرى.

وبينما السّيارة تنطلق بأقصى سرعتها، والقائد يؤكّد عليه بالتخلّص من سيارة الدّعم، قام بالقفز منها، وإذا به قبيل أنْ يرتطم بالأرض بلحظات انقطعتِ الأحداث، وعاد عدّة دقائق فقط، والقائدُ يشرح له كيف سيتخلّص من سيارة الدّعم بها بعد أنْ يختبئ خلف التبّة، ومن بين ثنايا اليأس لمعتْ عيناه مجدّدًا، لقد أتته الفكرةُ العبقرية التي ستوقظه من حلمه القميء هذا.

يجبُ عليه الآن أن يتمّم المهمّة بسرعة مع فريق السّكمنْتو هذا، توقّفت السيارة وهو متمسّك بها حتّى لا يندفعَ للأمام بسبب القصور

الذّاتي الذي يعلم بأنه سيحدُث، وقفز الفريق وهو خلفهم بمنتهى الحماس، ذهبَ مسرعًا نحو التّبة، واختفى خلفها، وعلى نقيض المرّة الأولى كان ارتفاعُ صوت طلقات الرصاص كأنها معزوفةٌ جميلة تطربُه وتُسعده، رفع سلاحه واستعد للسيارة التي جاءت وموتورُها يهدرُ بقوّة، وفي ثوان كان قد تخلّص منها ومِن فريق الدّعم القتالي بها، وقام واقفًا وسار بهدوء إلى منتصف الطريق حتّى جاءت السيارة، والفريق يهتف بحماس وفرحة وهُم يمسكون بتلك الجوهرة المجهولة والتي لا يعلم أينَ ستذهب بعد أن حصلوا عليها، استقلّ معهم السيارةَ التي انطلقت، وقبل أن تزيد سرعتها بعد أول منحنًى، قفزَ منها ولم يلتفت نحوها، وإنّما وقف أمام مبنى ضخم وعال جدًّا، ورفع رأسَه لينظر إلى أعلى نقطة فيه، وكمْ كانت سعادتَه أنْ كان الارتفاع شاهقًا جدًّا، بمنتهى الهدوء تحرّك إلى داخل ذلك المبنى واستقلّ مصعده الإليكتروني حتّى وصل إلى السّطح، أخذ يرصد كلّ ما تصلُ إليه عيناه، ها هو البرجُ العالي المخصّص لبثّ إشارة الجوالات بجوار البنك، ورأى في الناحية المقابلة ذلك العمودَ الأسطواني المستديرَ للمبنى الكبير الذي يشعل كلّ مشاعره وذكرياته، وقفَ ينظر نحوه بخشوع وعيناه تكادا تبكيان، ووجد نفسَه يهتف قائلًا:

- يا ربّ، أخرجني ممّا أنا فيه.

لا يدري لماذا نطقَ بذلك، أو لمَ تواردَ لذهنه أن يقوله بمجرّد أن رأى المبنى، عندما يعود إلى الحياة الحقيقية حتمًا سيبحثُ عن مبنى مشابهٍ، ويرى ما السّر الكبير المرتبط به، هزّ رأسه ليتخلّص من تلك المشاعر وانطلق إلى ما جاء لأجله هنا، تحرّك نحو الحافّة، ومال بجذعه قليلًا إلى الأمام لينظر إلى الشّارع، وكم كانت سعادته عندما وجدَ الارتفاع أكبرَ ممّا كان يتوقّع، والعجيبُ أنّه عندما شعر ببعض الدّوار بسبب نظره لأسفل عبر هذه المسافة الطويلة، بدلًا من أنْ يخيفه ذلك، فقد ازدادت سعادته، وذلك لأنّه وجد المخرج من الحلم، وحتمًا سيكون ناجحًا هذه المرّة، لقد ومض عقله بفكرة غريبة، ولا يدري لماذا واتته هذه الفكرة، ربّما هي ذكرى مختبئة في عقله الباطن، وظهرت له بشكل تلقائي، في الأحلام يستيقظ إذا شعرَ بألم كبير، وهذا ما يعجز عن تحقيقه، ولكنْ أيضًا قد يستيقظ إذا وقعَ من ارتفاع عال جدًّا، فقبل أنْ يصطدم بالأرض لا بدّ وأن يستيقظ من نومه وأحلامه!

لقد واتته هذه الفكرة عندما ألقى بنفسه من السيارة، وقبل أن يتحطّم جسده بالاصطدام العنيف بالأرض، انقطعت الأحداث، فترى ماذا سيحدث إذا فعلها من ارتفاع كبير جدًّا، هل سيستيقظ أم ستنقطع الأحداثُ وتعود به للخلف بضع دقائق فقط؟

التّجربة هي التي ستظهر له الحقيقة الآن، صعد السور القصير ووقفَ فوقه وهو يرتعدُ بقوّة، وقبل أن يتردّد ألقى بنفسه، وبينما الهواءُ يصطدم بوجهه في رحلة السقوط السّريعة، شعر بضربات قلبه تزيد بعنفٍ كبير، ويكاد قلبه يتوقّف، يجب أن يستيقظ من حلمه الآن؛ لقد اقتربتْ منه الأرضُ كثيرًا.

***

كانت السّيارةُ تنطلق بسرعتها المعهودة، والفريق يقهقه كعادته، والقائدُ بنفس موضعه، ويلمع القلم الذّهبي بأعلى جيبِ قميصه الأيسر، بينما جاك جالسٌ متخشّب لا يبدي حراكًا، ولا يدري ماذا يفعل، لقد قتله الملل من كثرة التّكرار، ولم يعدِ الأمر يعني له أيّ شيء، كانت السيارة قد اقتربت من نقطة الوصول التي يقفز فيها الفريق، وبمنتهى الملل أطلقَ النار على القائد، فعادت الأمور من نقطةِ الصّفر كالمعتاد، فقام بتوجيه سلاحه إلى نفسه وأطلقَ النار نحو رأسه، فعادت الأمور دقيقتين فقط على حسبِ إحصائه، فأطلق مرّة أخرى، وكانت نفس العودة، وأطلق الثالثة، فعادتِ الأمورُ إلى نقطة الصّفر مثلما يحدث مع قتل القائد، لمعت عيناه مجدّدًا بعد أن اقترب اليأسُ من هزيمته عقب فشل فكرته في الاستيقاظ عند إلقاء نفسه من أعلى مكان شاهق بسطح ذلك المبنى الكبير، عندما وجد نفسه فقط قد عادَ دقيقتين إلى الخلف

مثلما يحدُث معه عندما تصيبه الرصاصات وعندما يلقي بنفسه في النار؛ ظنّ أنّه هكذا لن يجد حلًّا أبدًا، وقد فقد الأملَ في كلّ شيء، ومثلما يعبث الشخص المللولُ الحزين بأيّ حصاة ملقاة أمامه، أخذَ يعبث بسلاحه ويطلق النّار على نفسه، ولكن خرج بملحوظة لم ينتبه إليها من قبل، في بداية الأحداث تمّ إطلاق النار عليه مرّتين أمام ذلك المبنى الخاصّ الذي يرتبط به شعوريًّا بشكلٍ كبير، والذي به كثيرٌ من الناس يرتدون الزيّ الأبيض الطّويل، وفي هاتين المرّتين عادت به الأحداث عدة دقائق فقط، وعندما أطلق الرّصاص نحو رأسه بعد اختفاء الشّاحنة المشتعلة قبل اللّحاق بنيرانها؛ عادت كلّ الأمور إلى نقطة الصّفر، ظنّ وقتها سبب ذلك أنه من قتل نفسه وليس لأنّ مقتله بيد الآخرين، ولهذا لم ينتبه للأمر ولم يدرسْ هذا النّمط بشكل سليم، أمّا الآن وبينما هو يقع في حزنٍ وملل كبيرين، وبإطلاق النار على نفسه عدّة مرّات، عادتِ الأحداث دقيقتين بعد موتتيْن، ولكن عادت إلى نقطةِ الصّفر بعد الثالثة، فما السرّ.. والموتة هنا واحدة وبنفس السّلاح والرصاصات؟!

هذا النّمطُ ليس غريبًا عليه، ويشعر بالاعتياد معه، فهو لديه محاولتان لإعادة استكمال نفس المهمّة حال مقتله، ولكنْ يعود إلى نقطة الصّفر إذا مات في الثالثة، اشتعل ذهنُه بيقين جديد لا حاجةَ فيه للومضات وقد أدرك بأن هذا هو نمطُ الألعاب الإليكترونية تمامًا، هناك ألعاب

تمنحك عدّة حيوات قد تكون ثلاثة أو خمسة، وإذا فقدتها كلّها يجب أن تعيدَ اللعبة من البداية، ازداد بريق عينيّه وقد فازَ بهذه الذكرى عبر تفكيره المنطقي، إذا هو لا يعيشُ داخل حلمٍ غريب مركب، ولا يخوض تجربة علميّة عجيبة، إنّه ويا للعجب يعيشُ داخل إحدى تلك الألعاب الإليكترونية، فهو الآن لا يمسك بذراع ولا يطرق على لوحةِ مفاتيح حاسوب، بل هو بشحمه ولحمه أو ربما بوعْيه داخل اللّعبة نفسها، هذا سرُّ اختفاء كلّ مَن يتمّ قتله، فهذا ما يحدث بالفعل في أغلب الألعاب، وهذا سرّ عجزِ القائد عن التّفكير المركب عندما حاول أن يقترح عليه حرقَ جثث بعض الجنود؛ كي يحصل على نار تساعده في الخروج من الحلم على حسب ظنّه وقتها، ظلّ يطرحُ على القائد أكثرَ من فكرة، وكان ردُّه آليًّا وثابتًا وهو يقول:

- سوف نختطف خمسةً من الجنود يا جاك.

دفعه ذلك للتفكير وقتها أنّ القائد مجرّدُ آلي مبرمج لخوض تجربة معه، ولم يخطرْ بباله أنّه مجرد شخصية وهميّة داخل لعبة، تفتقد القدرةَ على التفكير الإبداعي، ولا يمكنه الخروجُ عن مسار البرمجة التي تمّ تحديدها له ضمن قواعد اللعبة.

تساءل جاك: ترى هل هناك بشريّ غيره داخل اللعبة أم أنّه الوحيد فيها؟

وما سببُ دخوله إليها؟

وكيف أصبح داخلها بهذا الكلّ؟!

الكثيرُ من الأسئلة التي ازدادت وتعقّدت عما قبل، ترى هل استنتاجه الآن حقيقيّ أم أنّه سوف يجابه الفشل بعد قليل؟

ولكن ماذا بيده هذه المرّة كي يخرج من اللعبة، اللعبة تتكرّر بشكل لا نهائي، فبعد انتهاء المحاولات لا تتوقف، وإنّما يتمّ إعادة تشغيلها، الحلّ هو إغلاق الجهاز الذي يتمّ تشغيل اللعبة عليه.

فكيف يتمّ إغلاقه؟

نشطتْ ذاكرته مرّة أخرى باستمرار التفكير المنطقي وتذكر أنّ كثرة تكرار الشيء الواحد قد تتسبّب في تعليق اللعبة وتوقّفها؛ ممّا يستلزم إعادة تشغيل الجهاز بعد ثبات الشّاشة على شيء واحد وعدم الاستجابة لأيّ أمر جديد.

ما الشّيء الوحيد الذي يمكنه فعله الآن ويظلّ يكرّره بكثرةٍ حتّى تتعلّق اللعبة ويتوقّف الجهاز الذي يحبسه بداخله الآن؟

نظرَ نحو القائد الذي يهتف به أن يقضي على فريق الدّعم وابتسم، نعمْ.. القائد له وضعٌ خاصّ، فمقتله مرّة واحدة يعيدُ اللعبة من البداية، وليس مثل ما يحدث مع جاك حيث لديه ثلاثُ محاولات، وهذا بالطّبع لمدى أهمية القائد.

لهذا قام بتوجيه فوّهة السلاح نحو القائد وقتله.

عادتِ الأحدث من نقطة الصّفر كما يعلم يقينًا، فقتله مجدّدًا، وظلّ يعيد فيها عشرَ مرّات، وكلّ مرّة يكون القتل أسرعَ من سابقتها، وهو الآن ينتظر الفرج بأنْ تتعلق اللعبة ويخرج منها عند توقّف الجهاز.

ولكنّ عندما همّ بقتله في المرّة الحادية عشرة، إذا بالقائد يهتفُ به قائلًا:

- لن تحصل على المفتاح الذّهبي هكذا.

تجمّدت يدُه على الزّناد، واتّسعت عيناه بذهول، لقد أفلتَ القائد من الموت هذه المرّة.

لقد نسي هذا المفتاح الذّهبي تمامًا وسط تتابع الأحداث وتعقّدها، لقد كان الحلّ بالفعل تحت يديه من البداية ولكنّه اندفع بسرعة خلف أفكار جديدة راودته، وذلك عندما ظنّ بأنّه في حلم مرّة، ويجب عليه الخروج منه بالاحتراق أو السّقوط من علٍ، وعندما ظنّ أنّه في تجربة علميّة مرّة أخرى، وحاول التحقّق من ذلك بقتل أعضاء فريقه وقائدهم.

كانت عودته لبداية الأحداث وفشلُه المتكرّر سببًا في نسيانه لأهميّة هذا المفتاح، لقد كان يسير بشكل سليم منذُ البداية، وكان هذا التّشتيت

هو السبب في فشله، يجبُ عليه الآن أن يضع قاعدةً هامّة؛ عندما ينشغل بأمر لا بدّ وأن يعطيه كاملَ تركيزه، ولا يسمح لأي عوامل جانبيّة أن تفقده هذا التركيز، فبذلك سوف ينجزه، أمّا الانشغال بأكثر من أمرٍ في آن واحد يتسبّب في فشل كلّ الأمور، ولكن..

كيف علم هذا القائدُ بأمر المفتاح الذّهبي!؟

الحلّ لدى هذا الرّجل بالفعل، ولن يتركه هذه المرّة، قام مسرعًا وأمسك بياقةِ قميصه، وقال له:

- ماذا تعرف عن المفتاح الذّهبي؟ وكيف يمكنني الخروج من هذه اللعبة؟

صرخَ به القائد قائلًا:

- هيّا يا جاك، لا وقت لذلك الآن، يجب أنْ نحصل على الجوهرة بسرعة.

وانتزعَ الرجلُ نفسه من بين يديه، وقفز من السّيارة، والفريقُ يلحق به.

تذكّر حينما سأل القائدَ أوّلَ سؤال وأجابه أنّهم فريق السّكمنْتو، لقد كان ذلك حين العودةِ بعد الفوز بصناديق الإمدادات الطبيّة، حسنًا قد يكون هذا هو الوقت المُناسب للإجابة عن أسئلته، سيكون ذلك

بعد الانتهاء من المهمّة أوّلًا، لهذا اندفع وشاركَ في القتال، وبعد الفوز وأثناءَ العودة سأل القائد مجدّدًا، وقال:

- ماذا تعرف عن المفتاح الذّهبي، وكيف يمكنني الخروج من هذه اللّعبة؟

أجابه القائد قائلًا:

- يجب أن تعثرَ على المفتاح الذّهبي.

همّ أنْ يسأله عمّا سيفعله بالمفتاح، وهل سيخرجه من هذه اللّعبة بالفعل، ولكن سبقه انقطاع الأحداث.

***

ها هي السّيارة تهتزّ مجدّدًا، فتح عينيه بسرعة وهو يعلم جميعَ تفاصيل المهمّة القادمة، لقد صعد إلى المستوى الثّاني في اللعبة، سيذهبون لمهاجمة القلعة بعد القضاء على الكمين الموجود بأعلى البرج في مقدّمتها، سينقسم الفريقُ إلى فئتين، ثلاثة جهة اليمين برفقة القائد وهو جهة اليسار برفقة الاثنين المتبقيّين، وبالطبع معهم الفتاة الإليكترونية الجامدة، ولكن يجب عليه أن يحصل على إجابةٍ جديدة بسرعة قبل أن تبدأ المهمّة؛ لذا هتف بالقائد قائلًا:

- ما الذي يفعله المفتاح الذّهبي؟

تجاهل القائدُ سؤاله، وكرّر نفس شرحه السابق عندما ذهبوا إلى مهمّة اقتحام هذه القلعة، وأخذ يقول:

– هيّا يا رجال، تحصيناتُ القلعة قوية، ولكنّكم على قدْرها، سنقضي أولًا على كمين الدفاع على الكوبري العابر إليها، ثمّ نقفز من السيارة ونتوزّع بسرعة كلّ ثلاثة باتّجاه، جاك ورفيقاه إلى اليسار، وأنا وهذان إلى الميمنة.

حسنًا.. يبدو أنّ الإجابات لن تكون سوى بعد الفوز، لهذا سيشارك في القتال، ويطلق أسئلته بسرعة قبل الانقطاع، اندفعَ يقتل بتلقائيّة وسرعة، وهو لا يستشعر أيّ متعة في ذلك، كلّ ما يهمّه الآن هو العودة إلى حياته الحقيقيّة، تساءل إنْ كان في السّابق يقضي معظمَ وقته وسط هذه الألعاب الوهميّة؟ هل متعة القتل تستحقّ أن ينفق فيها الكثيرَ من عمره؟

المهامّ كلّها قتل قد يكون غيرَ شريف، وفوزٌ في مهامّ قد تكون غيرَ قانونية، بل وتظهر رجالًا على غير حقيقتهم، وقد تدفعه إلى هدم مبانٍ هامّة له في حياته لا يجب أن يهينها أبدًا، فإذا كانت هذه المباني تستلزم منه خلعَ حذائه على بابها فحتمًا هي مبانٍ هامّة جدًّا، وقد تكون مقدّسة، كيف يستحلّ قدسيّتها بقذفها بالمدافع، أو قتل الناس فيها، أو سرقة ما بها؟!

هل مجرّد الرغبة في الفوز تستحقّ أن يخالف أفكاره السّليمة، وأن يقبل ما يهينها؟

لقد شعرَ بالمتعة في بداية اللّعبة بالفعل فور أن شارك في القتال، ولكن عندما وجدَ أنّ عمره كلّه سيكون داخلها اكتشفَ حقيقتها، وأنّها حياة مزيفة تقضي عليه وعلى عمره الحقيقي، لو اكتفى فقط باللّعبة وقتًا قليلًا وبسيطًا لاستمرّت هذه المتعة، وحافظ على أهميّة وقته وعمره ليستخدمه فيما يفيده بحياته الحقيقيّة، أمّا الآن فها هو يجري برفقةِ زميليه تجاه الميْسرة، ويطلق النيران متمنيًا فقط مرورَ الوقت حتّى يصل إلى ضوءٍ واحد يرشده إلى سبيل الخلاص والعودة إلى حياته التي سرقت منه.

ها هو قد استقلّ السيارة بعد جلب صناديق المواد الطبية، سارعَ بطرح نفس سؤاله عن فائدة المفتاح الذّهبي على القائد الذي أجاب هذه المرّة قائلًا:

- المفتاح الذّهبي يساعدك في الفوز.

همّ بأنْ يطلق سؤاله التّالي، ولكنِ انقطعت الأحداث.

***

حسنًا.. هذه المهمّة هي مهمّة سرقة البنك، وقتل الناس الأبرياء فيه!

هذه المهمّة التي هرب من السيارة بعدها لأوّل مرّة عندما اختفى في ذلك المبنى المظلم، واستطاع الخروج منه بالانغماس في النّوم، لقد كان

النّوم وسيلةً لاستمرار اللعبة، وبهذا فقد كان هروبُه من السّيارة أشبهَ بعمل إيقاف مؤقت للعبة، الآن بدأ يدركُ كلّ القواعد التي تسير عليها هذه اللّعبة، ويعلم كلّ أسرارها، يشعر هذه المرّة بيقين تامّ أنّه قد اقتربَ من الحلّ، شارك بمنتهى التقزّز في قتل الأبرياء داخلَ البنك، كان يكره ما يفعله رغم يقينِه بأنّ مَن يقتلهم أشخاصٌ وهميّون، ويرى ذلك غير مبرّر، ولكن للأسف هو مجبَرٌ عليه حتّى يفوز بحياته الحقيقيّة، بعد أن قام برصّ صناديق الذّهب المسروقة بالسّيارة، استقلّها هذه المرّة معهم، وأسرع بسؤال القائد قائلًا:

– كيف سيكون الفوز النّهائي عبر المفتاح الذّهبي؟

ابتسمَ القائد ولم يرد، أعاد سؤاله ثلاثَ مرّات ولم يحصل على ردّ، قد تكون برمجة القائد لا تسمح له بالتصريح بالحلّ المباشر، لذا سيقوم بتغيير الأسئلة، ولكن...

انقطعتِ الأحداث قبل أن يفعل.

***

الآنَ تنطلق السّيارة لأكثر مهمّة يكرهها، فهو ذاهب لتدمير ذلك المبنى المقدّس، وقتل مَن فيه!

شعرَ بغصّة كبيرة في حلقِه، وأخذتِ الصّورة التي ومضت بها ذكرياته من قبل تظهرُ أمامه، رجالٌ طيّبون مبتسمون بودّ يصافح بعضُهم

بعضًا، ويصحبون أطفالًا سعداء جدًّا ويتقافزون بمرح وسعادة، لا يمكنه هذه المرّة تجاوز مشاعره الحقيقيّة رغبةً في استكمال مراحل اللّعبة، لن يسمحَ للفريق بالنّجاح في هذه المهمّة، الحقيقة المترسخة بداخله الآن أنّ هذا خطأ كبيرٌ جدًّا، ومشاعره تؤيّد ذلك، ولهذا لن يأخذَ بحجّة أنّ الغاية تبرّر الوسيلة، حتّى لو كان ما يعيشُه وهمًا، حتّى لو كان هذا المبنى غيرُ حقيقيّ، لن يسمحَ لهم بمساسِ أيّ شيء يشعر بهيبتِه، وأنّه مقدّس، فقدسيّته هذه تتطلّب أن يحترمها ويعظّمها، حتّى لو بمشاعرِه فقط، وألّا يمسّها بسوءٍ أو ضرر حتّى لو كان ذلك في عالم الخيال، يعلَم بأنّه لو قتل فريقَه سيعاد الأمر مرارًا وتكرارًا، ولن ينتهي أبدًا، فهذه مرحلةٌ هامّة باللّعبة، ولا يمكن المضيّ قُدمًا بدونها، كيف يمنع المساس به دون أن تتوقّف اللّعبة؟

شعرَ بالمكافأة لأنّه قرّر ألّا يمسّ مقدّساته بسوء حتّى لو كان لا يذكرها جيدًا، فقد ظهر الحلّ له كأنّما هو هدية من الله، كانت السيارة قد بدأت في تهدئة سرعتها واقتربتْ من المبنى، فلمح الحارة الضّيقة التي كان قد هربَ إليها، والصّندوق المختبئ بالمنزل رقم سبعة موجود فيها، هذا الصّندوق لو حافظَ على تركيزه وقتها واستمرّ في تتبّع الخطوات المنطقية ولم ينشغل بأشياء جانبية، المفترض أن يكون قد حصل على المفتاح الذّهبي من داخله، قفزَ من السيارة هذه المرّة قبل أن تبدأ المهمّة وليسَ بعد انتهائها، وانطلق بسرعة حتّى يختفي عن

الفريق قبلَ أن تبدأ المعركة، وبهذا لن يشارك فيما يخالف مبادئه ولا يحترم مشاعره أو مقدساته.

وبالفعل غابَ عنه هديرُ موتور السيارة، وبينما هو ينطلق إلى داخل الحارة لم يصلْ إلى سمعه أيّ أصوات للصراع، لقد أفلت بشكل تامّ منه.

ها هو يقف أمامَ المنزل رقم سبعة، تذكّر أنّه مطالَب بالوصول إلى الصّندوق بوسط الغرفة قبل أن ينغلق الباب؛ حتّى يفوز بالمفتاح الذّهبي من داخله، بعد الحصول على المفتاح في هذه المرحلة سيسعى لمعرفة فائدته، وكيف سيساعدُه في الفوز والخروج من اللعبة.

تنفّس بهدوء، ووجد نفسَه يتلفّظ بجُملة أوّل مرّةٍ ينطق بها، لا يدري كيف خرجتْ هكذا بشكل تلقائي منه، فبينما يمدّ يده ليدفع الباب وجد نفسه يقول:

- بسم الله الرّحمن الرحيم.

لم يتوقّف عندها، وإنّما شعر بخشوع فوْر نطقها، والكثيرِ من الطّمأنينة، دفع الباب ببطء، والضّوء القادم من الخارج إلى الداخل يظهرُ له الصندوق بنفس حجمه وموضعه في منتصفِ الغرفة، أخذ يحسب عددَ الخطوات المطلوبة للوصول إلى الصّندوق، فوجد أنّه سيصل إليه بعد ثلاث خطوات؛ واللّاتي قد يستغرقن منه ثلاثَ ثوان،

ولكن لو قامَ بالقفز الكبير متّسع الخطوات؛ سيصل إليه بعد قفزتين فقط، لو فعلَها بسرعة سيكون ذلك في خلال ثانيتين فقط، وبهذا سيكون قد اختصرَ الوقت، وحتمًا لن ينغلق الباب في أقلّ من ثانيتيْن، أخذ نفسًا عميقًا للمرّة الثانية ودفع الباب لينفتح إلى منتهاه، وابتسمَ وهو يعيد الجملة السّابقة برغبةٍ منه ووعي هذه المرّة، فقال:

- بسم الله الرّحمن الرحيم.

وبمنتهى اللّهفة قام بالقفز السّريع والمتّسع جدًّا، وانحنى ليمسك بالصّندوق في اللّحظة نفسها التي انغلق فيها الباب، تمسّك بالصّندوق بقوّة حتّى لا يهرب أو يختفي منه، ظلّ الصّندوق ماكثًا بين يديه رغم الظّلام الحالك الذي يحيطُ به عقب تمام انْغلاق الباب، فأخذ يقهقه بفرحةٍ وقد فاز في هذه المرحلة، ظلّ متشبّثًا بالصّندوق حتّى لا يختفي إنْ تركه ولو لثانيةٍ واحدة، وأخذ يفكّر، ما الذي يجب عليه فعلُه الآن، التّفكير الهادئ والجيد قبل الإقْدام على أيّ أمرٍ يؤدّي به الى النّجاح، وهذا ما سيلتزم به، بما أنّ المفتاح داخل هذا الصّندوق يجب عليه البحثُ عن وسيلة لفتحه رغمَ هذه الظّلمة ودون أن يتركه؛ فحتمًا لو تركه سيختفي، ويجبُ عليه إعادة المرحلة من البداية، وهذا وقتٌ لا يريد أن يضيّعه، يغمره الآن شعور كبيرٌ بالفرحة، وقد اقترب من الحلّ والخلاص، لذا أخذ في التنفّس بعمقٍ وهدوء حتّى انتظمت أنفاسه،

وبدأ يتحسّس الصّندوق من جميع جوانبه عسى أن يجد فيه جزءًا بارزًا ينفتح الصّندوق إذا حرّكه أو ضغط عليه، بعد أن تحسّس جميع أركان الصّندوق، لم يجد شيئًا، أخذ يتحسّس كلّ أجزاء الصّندوق ويضغط فوقها، ويضرب عليها بقبضتِه عسى أن ينفتح، ولم يحدث، لا يمكنه الخروجُ بهذا الصّندوق، ولو خرج من هذه المرحلة بالنوم، سيجبُ عليه الصّراع للعودة إليه مرّة أخرى؛ لذا يجب أن يجدَ الحلّ لفتحه الآن، أخذ في تقليب الصندوق على جميع جوانبه، ويعيد التحسّس عسى أن يكون هناك زرٌّ خفيّ، ولم يجد، ولكن يبدو أنّ السّعي والمثابرة والعمل المستمرّ يؤدّي إلى منحِه الأفكار الجيّدة التي قد تصل به إلى الحلّ، ولهذا لن يتوقّف أبدًا عن هذا السعي ولن يفقد الأمل، فبينما هو يتحسّس الصندوق بحثًا عن زرّ صغير، تذكّر ما حدث مع شاشة الحاسوب، لقد كان بمواجهة نفس الأمر معها، ولكنْ ظهرت الرّسالة عندما رفعها لأعلى، ربّما هي نفس البرمجة ونفس الحلّ، لهذا تنفس ببطء مجدّدًا، وأمسك بطرفي الصّندوق، ونطق مجدّدًا بتلك الجُملة السحريّة، وقال:

- بسم الله الرّحمن الرحيم.

ورفعَ الصّندوق لأعلى، وابتهج بفرحٍ شديد، لقد كان هذا هو الحلّ السليم بالفعل، ها هي قد تبدّدت ظلمة الغرفة بمصدرِ إضاءة خفيّ؛ فوْر أن رفع الصندوق إلى أقصى امتدادٍ ليديه، وانزاح أحد الألواح

الخشبية بشكل تلقائي ليفتح فجوةً به، بدأ في تحريك وإعادة الصندوق إلى أسفل ببطء، وحرص لتصبح تلك الفجوة في مستوى بصره لينظر إلى داخله مستطلعًا ما به، كان على يقينٍ بأنّه سيجدُ المفتاح الذّهبي المطلوب، ولكن كانت تنتظره مفاجأة أغرب من كلّ ما فات!

***

لم يعدْ يستسلم لشعورِ الخيبة واليأس كما كان سابقًا، لقد علّمته التّجربة عدم اليأس مهْما كانت العوائق والصعاب حوله، بل سيسعى فقط إلى التريّث برهة للتفكير، ها هي السّيارة تنطلق به إلى مهمّة اقتحام الثكنة العسكرية لاختطاف خمسةٍ من جنودها، تركهم يشرحون ويتضاحكون حسبَ إعداد برمجة اللعبة، وأخذ يتفكّر في الخطوةِ التّالية بمهمّته الشّخصية وكيف يفوز فيها، عندما وصلَ إلى ما ينتظره داخل الصّندوق، وبعد يقينه التّام بأنه حتمًا سيكون المفتاح الذّهبي، وبدلًا من أن يتفكّر بعد ذلك فيما سيستخدمه، وجدَ لغزًا جديدًا ومختلفًا تمامًا عن كلّ ما فات، وكان هذا اللّغز يتلخّص في شيء بسيط جدًّا، ولكن بساطته هذه هي سرّ غموضه!

لقد كان الصّندوق خاويًا تمامًا، ولا يوجد فيه سوى صورة فوتوغرافيّة واحدة بحجم متوسّط، والغريب أنّها لم تكن تحوي سوى قائد فريق السكمنتو!

صورته هو فقط دونَ أيّ تفاصيل أخرى، خلفه خلفية بيضاء تمامًا، ويبتسم ابتسامةً هادئة، وبنفس زيّه شبه العسكري، وبنفس لحيتِه الرّفيعة والقصيرة (دوجلاس)، بل ويظهرُ كذلك القلمُ بارزًا من جيبه العلويّ تجاه اليسار كالمعتاد.

هذه الصورة مرحلةٌ من مراحل حلّ اللغز، من المفترض أنّها ستؤدّي به إلى اكتشاف المفتاح الذّهبي، يبدو أنّ الأمور كلّها تدور حول هذا القائد بالفعل، ولهذا فحياته غالية، مجرّد أن يموت تعاد اللّعبة كلّها من البداية، وليس مجرّد تجديد نفس المرحلة لثلاثِ مرّات كما يحدث معه أو مع الآخرين، وهذا القائدُ من نطق وطلب منه أن يتوقّف عن قتله المتكرّر؛ حتّى يمكنه الحصول على المفتاح الذّهبي، والصّورة لا تحوي سواه، يبدو أنّ هذا القائد مبرمَج على عدم إجابةِ الأسئلة بشكل مباشر، وبالتّالي لن يحصلَ منه على معلوماتٍ تساعده في الحصول على المِفتاح، فترى كيف يصلُ إليه من خلال هذا القائد؟

في الألعاب العادية على حسب ما عادتْ إليه ذكريات ألعابه القديمة، يكون هناك مراحلُ كثيرة للقتال، كلّ مرحلة أصعبُ من سابقتها، وفي النّهاية يصل إلى المرحلة التي اشتهرتْ بأنّها مرحلة الوحش، وفيها يكون أصعب تحدّي على الإطلاق، فإذا فاز فيها وهزمَ ذلك الوحش، والذي يتغيّر على حسب نوع اللّعبة، يجد ما يبحث عنه منذ البداية،

وتظهر له شاشة مكتوب عليها (أنت الفائز) بالإنجليزية، هل يعقل أنّه مطلوب منه الاستمرار في القتال والمحافظة على حياة هذا القائد لأنّه لن يمكنه الانتصار في المرحلة النهائية إلّا بمعونته؟!

قدْ يهلك كلّ الفريق، ولكن يجبُ أن يتبقى القائد حتّى النّهاية معه، وبعد الفوز بالمرحلة النّهائية تظهر له المكافأة الأخيرة؛ وهي المفتاح الذّهبي، وتنتهي اللعبة ويخرج منها، يبدو أنّ هذا هو الحلّ المنطقي بالفعل.

حسنًا.. سيشارك بقوّة في كلّ مراحل اللعبة ليرى متى الوصولُ إلى النهاية، ساعد في اختطاف الجنود الخمسة وهو يشعرُ بالأسى واحتقار نفسِه بشدّة، لثقته التّامة أن هذا خطأ أخلاقيّ وديني كبير، ولكن تبًّا لمَن أجبره على فعل ذلك.

سيبتلعُ مرارته، ويدوس على مشاعره وأخلاقه التي ترفض ذلك لكي يفوزَ بنفسه، يا لها من أنانية، ولكن ليس بيده غير ذلك، وبدأت تظهرُ له المراحل الجديدة في اللعبة والتي لم تمرّ عليه من قبل.

***

بعد ظنّه بتحوّله للأفضل، وعدم تمكّن الفشل أو اليأس منه مرّة أخرى، ها هو الإحباط بدأ في التسرّب إلى نفسه ببطء، لقد وصل إلى

المستوى الرّابع والثلاثين بعد كثير من القتل والهدم والخطف والسرقة، وفعل كلّ الموبقات والأخطاء، ولكنْ لم يظهر أيّ جديد، لا يبدو أنّ هذه اللّعبة لها نهاية، لقد صبر كثيرًا عسى أن يصل إلى المستوى الأخير، ولكن لا يوجد أيّ تطوير، المهامّ كثيرة وتتجدّد، وبالطّبع مَن يُلقي التعليمات فيها هو القائد، ها هُم الآن ذاهبون لحرْق محصول القمح لقرية كبيرة، ومحاصرة أهلها؛ الذين إنْ خرجوا من بيوتهم لاستطلاع ذلك الحريق الهائل سوف تتمّ إبادتهم بيدِ الفريق، وبلا شفقةٍ أو رحمة، ثمّ إشعال النّار في المنازل لتحرق من تبقّى بداخلها، لا يهمّ بالدّاخل إن كانو شيوخًا أو نساء أو حتّى أطفال!

المهمّ أن يفوز في هذه المرحلة من اللّعبة، كان الأمر هذه المرّة قاسيًا، وبما أنّه قد بدأ في فقدان صبره وحماسة، لم يستطع المشاركة بقوّة في هذا الصّراع، فوقف يشاهد ويتألّم وهو يعلم بأنّ هذه جرائم لا تغتفر، كيف يمكنه استكشافُ الأمور دون قتلِ ضميره بهذه الطريقة المستمرّة، لقد كان في السّابق يهرب من السيارة أثناء عودتها، ويسعى للاستكشاف، وبهذا كان يأخذ هدنة من اللّعب والقتال حتّى يصل إلى فكرة أو وسيلة تساعده في الخلاص، ولكن ها هو الآن قد وصل ليقين بأنّ الحلّ لدى ذلك القائد، ولن ينجح إلّا من خلاله، لقد صبر كثيرًا على فكرةِ الفوز والوصول إلى النهاية، ولقد تعبَ جدًّا بسبب

ذلك، فهل يمكنه أخذُ هدنة جديدة؟ ولكن هل سيترك القائد.. وهو الذي بيده الحلّ؟

وفجأة، برقت عيناه مجدّدًا، لقد وصل للحلّ مع تطوّر تفكيرِه المنطقي، الآن علم كيف سيصل للجديد في رحلته الذّاتية.

انتهى فريق السّكمنتو الإجرامي هذا من مذبحته الرهيبة، وصعدوا إلى السّيارة تتعالى قهقهتهم، والقائد جلس بموضعِه على حافّة السيارة بنفس زيّه المميّز، وبالطّبع مع بروز قلمه الذّهبي الواضح، فتحفّز هو في جلسته، واستعدّ لتنفيذ خطّته التي يتمنّى أن تنجح، وأن يكون فيها الحلّ بالفعل، بعد دراسته في المراحل السّابقة، السيارة تبدأ بسرعةٍ متوسطة، وفور دخولها إلى شارع رئيسي تزيد سرعتها، وفي خلال ثوانٍ تنقطع الأحداث لتبدأ المرحلة الجديدة مع المهمّة التي يلقي تفاصيلَها إليهم ذلك القائد،

لذا ما إنْ بدأت السّيارة في الانطلاق بالشارع الرئيسي، وقبيلَ أن تزيد سرعتها بلحظات، قفز بقوة وسرعة نحو القائد ليقع معه خارج السّيارة، وكاد يهتفُ فرحًا عندما أفلحت خطّته، فقد كانت الوقعة بسيطةً بسبب حركة السّيارة البطيئة، وبالتّالي لم تتسبّب في وفاته أو وفاة القائد، وبهذا لن يعاد المستوى أو تبدأ اللعبة من نقطة الصّفر كما يحدث عند موت القائد، وكذلك.. وهذا هو الغريبُ والذي كان

يخشى من عواقبه، لم تتوقّف السيارة بسبب سقوط القائد منها، كان جاك يظنّ بأنّها تنطلق في كلّ مرّة بعد قفزه منها لأنّه مجرّد فردٍ عادي، ولكن قد يختلفُ الأمر مع القائد، أهمّ فردٍ في الفريق، والذي تتوقف اللّعبة عند توقفه، ولكن ما أسعده أنها أكملت مسيرتها، تيقّن الآن أنّ هذه الهدنة ليست سوى مجرد توقّف مؤقّت للعبة، وقد حدث ونجح فيما أراد هذه المرّة، ستكون له هدنة برفقة القائد، ولن يتركه حتّى يحصلَ منه على بعض الإجابات أو الفوز منه بوسيلة يستطع بها الوصول إلى المفتاح الذّهبي.

ظنّ بأنّ القائد سيصرخ فيه ويوبّخه لما فعل، ولكن كان ردّ فعلِه مذهلًا جدًّا، وأعطاه الحلّ السّحري الذي يبتغيه، لقد وقفَ الرّجل وأوّلُ شيء فعله أنْ وضع يده على القلم الذّهبي البارز من جيبه وهو يقول له:

- لن تحصل عليه ببساطة هكذا.

يا للهول!!

لقد كان المفتاح الذّهبي أمام بصره طوال الوقت، ولم ينتبه إليه؛ فهذا القلم الذّهبي هو المفتاح المقصود؛ ولهذا كانت صورةُ القائد داخل الصندوق تظهر القلم بوضوح، والذّكي مَن ينتبه لتلك الإشارة الخفيّة في ذلك، يا له من بارعٍ وعبقري مَن قام بتصميم هذه اللّعبة، وزرع تلك

الألغازَ فيها، الآن يشعر بمتعةٍ كبرى وحقيقية في هذه اللّعبة الجانبية، لعبة تستحثّ تفكيره وتدفعه لاستخدامه عقله وتنمية ذكائه، لا دماء ولا أخطاء ولا مذابح ولا أشياء تخالف أخلاقه ومبادئه وثقافته.

الآن يتمنّى أن تكون اللعبة الكبيرة هكذا، تستدعي التّفكير ويلزمها الذّكاء فقط، فرح جدًّا عند علمه بأنه أخيرًا قد وصل إلى المفتاح الذّهبي، ولكن يبدو أنّ القائد كما قال لن يتنازلَ عنه بسهولة، يجب عليه مصارعته والانتصار عليه، ضحكَ بقوّة وقد وصل إلى مستوى الوحْش، فالقائد هو الوحش الذي كان يبحث عنه منذ كثيرٍ من المراحل والمستويات في اللعبة الوحشية التي خاضها، وبما أنّه في تلك المراحل الجانبية والتي يحصل فيها على هدنةٍ لا يلزمه قتال؛ وإنّما في الغالب تفكير أو سرعة ردّ فعل، فقد يكون الحصول على المفتاح من القائد لا يلزمه قتال أو صراع ناريّ كذلك، لهذا سأل القائد قائلًا:

- متى.. أو كيف يمكنني الحصول عليه؟

ظلّ القائد محافظًا على وضع يده فوق القلم الذّهبي أو المفتاح الذّهبي حتّى لا يختطفه منه وقال:

- يجب أن تحلّ اللغز قبل نفاد جميع فرصك.

ابتسمَ بقوّة وهو يشعر بالسّعادة، فهذا ما يرجوه جدًّا ويحبّه بالفعل، فقال بثقة:

- أنا مستعدّ.. ما هو اللّغز الذي تريد منّي حلّه؟

قال القائد بآلية:

- إذا كان معك حجرٌ ضخم، وقذفت به عشرة من العصافير يقفون متجاورين فوق أحد الفروع لشجرة كبيرة، أصاب الحجر ثلاثة من العصافير وأسقطهم، كم يتبقى على الفرع من العصافير؟

عقدَ حاجبيه وهو يتعجّب من اللغز التّافه، هل يعقل بأنه بعدَ كلّ التعقيد الذي مرّ به، أن يكون الحلّ النهائي في عمليّة حسابية بسيطة جدًّا يمكن لأيّ تلميذ في الصفوف الأولى من التعليم أن يقوم بحلّها؟!

فضحك بتهكّم وقال:

- هل ستعطيني المفتاح إذا نطقت بالإجابة السليمة؟

- نعم.

فقال بمنتهى البساطة:

- حسنًا.. الإجابة هي أنّه سيتبقى من العشرة عصافير سبعة، بعد أن يسقط منهم ثلاثة.

قال الرّجل بآلية:

- الإجابة خاطئة.

اتّسعت عيناه ذهولًا، واضطربت مشاعره، وقال بقوة:

- لا، الإجابة سليمة جدًّا.

ردّد الرجل بآلية:

- الإجابة خطأ.

ارتفع صوتُه هادرًا وهو يقول:

- ما الإجابة السليمة؟

قال الرّجل بنفس الآلية:

- إذا أصبت ثلاثة من العصافير العشرة المتجاورة على الفرع، لن يتبقّ منها ولا عصفور؛ لأنّ مَن سقط بجوارهم سيدفعهم للطيران.

صمتَ وقد أدرك بأنّ السّؤال لم يكن بسيطًا كما توقّع، لقد كان سؤالًا يحتاج منه التّفكير وعدم التعجل، رغم خطأ إجابته، إلّا أنّه شعر بالسّعادة لهذه الطريقة التي تُربي لديه التّأني وعدم التعجّل مع التفكير الجيد والطويل قبل أن يجيب، فقال بهدوء:

- كم تبقّى لي من المحاولات؟

- تبقى لك محاولتان فقط.

- واذا فشلت ماذا سيحدث؟

- يجب أن تصل إلى المرحلة الثّلاثين من اللعبة حتّى يمكنك خوض هذه التجربة.

لم يكنِ الأمر عشوائيًا، فكلّ ما فات من مراحل والتي تألم فيها كثيرًا، كانت كلّها ضرورية حتّى يمكنه خوض هذه المعركة الذّهنية مع القائد، من الصعب عليه جدًّا أن يعود إلى الخلف ليشارك في كلّ المعارك المشينة مرّة أخرى، يجب عليه أنْ يفوز، سوف يتريّث ويعيد التفكير مرارًا وتكرارًا قبل أن يجيب، فقال بهدوء:

- حسنًا. أنتظرُ اللّغز التالي.

قال الرجل بهدوء أيضًا:

- رجلٌ يقيم في بيت ناءٍ في أحد الأحياء البعيدة عن العمران، يستعين بحارسٍ ليلي ينتهي عمله في السابعة صباحًا، وحارس بالنّهار ينتهي عمله في السّابعة مساء حين قدوم الحارس الليلي، قرّر ذات يوم أن يسافر إلى مدينة أخرى، فطلب من الحارس اللّيلي أن يوقظه في تمام السّابعة حين انصرافه، حتّى يمكنه اللّحاق بالحافلة التي تنطلق إلى تلك المدينة في تمام السّابعة والنّصف صباحًا، أيقظه الحارس في السّابعة

بدقّة كما طلب منه، ولكن رجاه أنْ يسافر بالقطار، وألّا يستقلّ الحافلة، وعندما سأله عن سرّ طلبه لذلك، قال بأنّه رأى في حلمه أنّ الحافلة وقع لها حادثٌ مروريّ كبير، ومات كلّ مَن فيها، استجاب الرجلُ لنصيحة الحارس وسافر بالقطار، وبالفعل حافلة السّابعة والنصف وقع لها حادثٌ كبير تكلم عنه الجميع بعد أنْ مات كلّ مَن فيها، عندما عاد الرجل من سفره، منحَ الحارس مكافأةً كبيرة لأنّه كان سببًا في إنقاذ حياته، ولكنْ قام بطرده وأنهى عمله معه.

لماذا طردَ الحارس؟

استمتعَ جدًّا وهو يستمع للقصّة، وكان في قمّة التركيز حتّى لا تفوته تفصيلة صغيرة منها، يعلم بأنّ الحلّ ربّما في كلمةٍ مموّهة تحمل معنيين، أو في رقم يجب حفظه، أو في اختلاف المواقيت والتّاريخ، ولكن كانت القصة بسيطة وتلقائيّة، ولا يوجد فيها أيّ تلاعب لفظي، الأمور واضحة، لقد كان الحارس بالفعل سببًا في إنقاذ حياته، وهو من نصحه بعدم السّفر بالحافلة، لذا فهو أهلٌ للمكافأة عن جدارة، ولكن لا يستحقّ الطّرد من العمل، يجب أن يستمرّ معه حتّى ينصحه ليبعد عنه الشّرور؛ ويكون صاحب البيت محظوظًا بذلك، ولكن..

مَن قال بأنّ هذا حظا؟ ربّما صاحب البيت رجل متشائم وقد استاءَ من الحارس الذي تكلّم عن حادث؛ قد يكون وقوعُه بسبب كلامه المسبق عنه،

من توقّع الخير وجده، ومن توقّع الشّر قد يقع فيه، لو كان الحارس بشّره بأنه سيربح أموالًا كثيرة وربحها بالفعل لاستبشرَ به وحافظ عليه حتّى يجلب له الخير، أيّهما أفضل؟ مَن يجلب له البشارة أم مَن يذكره بالمصائب؟

فابتسم بثقةٍ وقد وصل للحلّ، وقال:

– لقد قام بإنهاء عمله لأنّه رجل متشائم ويريد من يعطيه البشريات لا من يذكر المصائب أمامه.

– إجابة خاطئة.

تسابقتْ دقّات قلب جاك، وقال بسرعة:

– لماذا إذًا قام بفصله من العمل كحارس ليلي؟

قال الرجل بهدوء:

– هو حارس ليليّ وقد رأى أثناء حلمه أن الحافلة تعرّضت لحادث، والحلم يستدعي النّوم، فكيف ينام؟! واجبُه حماية البيت طوالَ الليل، بينما صاحبه يستغرق في نومٍ عميق مطمئنّ بسبب حراسته.

لقد تمّ فصله لأنّه لا يقوم بوظيفته على الوجه المطلوب.

ضربَ جبهته بكفّه، لقد كان الحلّ بسيطًا جدًّا وتلقائيًّا ولكنْ لم يصل إليه، الآن تبقّت له محاولة واحدة يجب عليه أنْ يفوز فيها، لم يعدْ يتحمّل

كلّ هذه الرحلة الشاقة عبرَ ثلاثين مستوى، يجب عليه أن يشحذَ كلّ تفكيره وأن يشعلَ أقصى درجات ذكائه، فتنهّد بقوّة وقال:

- بسم الله الرّحمن الرحيم، تفضّل بطرح اللغز الجديد.

صمتَ الرجل قليلًا كأنّما يستحضر أو يعدّ سؤاله الصعب، وقال ببطء كعادته:

- ما هو الشيء الذي يحاكي جميعَ الناس، وليس فيه روحٌ ولا إحساس، ولا يعيش إلّا بقطع الرّأس؟

السّؤال رغم قصره إلّا أنّه صعبٌ جدًّا، يستحقّ بأن يكون السّؤال الأخير والمرحلة النّهائية بالفعل، ها هو الآن على وشك الفوز أو الهزيمة، هل يمكن أن يخوض كلّ ذلك مرّة أخرى، برقتْ له فكرة جيدة قد تستحق التعب والعنت، ربما إذا عاد من البداية قد تكون هذه هي الأسئلة نفسها، وها قد علم إجابتها، فسأل الرجل قائلًا:

- هل إذا عدتُ من البداية، ستعيد نفس الأسئلة مرّة أخرى بعد تخطّي المستوى الثلاثين في اللعبة؟

أجاب الرجل قائلًا:

- نعم إذا انتهى مخزونُ الأسئلة المكوّن من ثلاثة آلاف سؤال.

شهقَ بقوّة وقال:

- يا الله!

فلدى الرّجل مخزونٌ من أسئلة الذكاء يتكوّن من عدد ثلاثة آلاف سؤال، تحتاج منه ألف إعادة للثلاثين مرحلة باللّعبة، وفي كلّ مرّة سوف يستهلك ثلاثة أسئلة، وبهذا يكون النّاتج الآلاف الثلاثة!

بالطّبع لن يمكنه ذلك أبدًا، يجب أن يجيب على هذا السّؤال إجابة سليمة، أخذ يتفكّر في الكلمات التي نطق بها الرّجل، شيء يحاكي كلّ جميع الناس، أي يقلدهم أو يقلّد تفاصيل حياتهم، وليس فيه روح ولا إحساس، قد يكونُ التلفاز أو الحاسوب أو حتّى الجوال؛ بما يحمل من ملفّات مصورة أو متلفزة تحمل تفاصيل حياة البشر، بينما هو نفسه لا حياة أو روح ولا إحساس فيه، ولكن الجملة الثّالثة تقول ولا يعيش إلّا بقطع الرأس، وهذه لا تنطبق على ما ذكر من قبل، إذا هو شيء مادي له رأس ويجب إزالةُ هذه الرّأس حتّى يبدأ العمل، وعملُه هو محاكاة حياة النّاس، يشعر بأنّه قد اقترب من الحلّ، بدأت مشاعره في التحفّز، وانطلقت أفكاره، واشتعل عقله بكلّ قوّة سعيًا لإيجاد حلّ لهذا اللغز، شعر بالحماس الشديد، لو استمرّت اللعبة بهذا المنوال دون خوض صراعات دموية، ربّما أحبّ ذلك، وتمنّى الإعادة، ولكن يعلم العاقبة ولهذا أمعنَ في التفكير، كيف سيكون إزالة أو قطع الرأس؟

إمّا بالذّبح أو النزع أو القصف، أو..

هتفَ بفرحة شديدة لقد توصّل إلى الحلّ الصحيح، أخذ يدور حول نفسه وهو يصيح فرحًا ويقول:

- لقد وجدتها، لقد وجدتها.

قال الرجل بهدوء:

- ما هو الحل؟

فقال بحماس شديد:

- إزالة الرأس بالقصف يكون للقلم الرّصاص، والقلم هو الذي يمكنه محاكاة حياة كلّ الناس بالكتابة عنها، وهو بلا إحساس أو مشاعر حقيقيّة، ولهذا الإجابة السليمة هي القلم الرصاص.

ابتسم الرجل وقال:

- أنت الفائز.

ومدّ يده بالقلم الذّهبي ليمنحه إياه.

اهتزّ وجدانه بالسّعادة الكبيرة لتفوّقه العقلي الذي جعله فائزًا أخيرًا بالمفتاح الذّهبي، تناوله من الرجل، وإذا به ليس قلمًا، وإنما طرفه العلوي ما يشبه القلم فقط، والجزء المخفيّ داخل جيب الرّجل

يظهر بأنه مفتاح، ضحك بقوة لهذه الخدعة الطّريفة التي جعلته يشعر بالسعادة الآن، لقد كان المفتاح أمامه منذ البداية، ولكن كان يتطلب منه دقة الملاحظة فقط، أمسك به بقوّة، وهو يهتف قائلًا:

- أخيرًا.. وجدت المخرج.

ولكن تذكّر بأنّه لا يعلم كيف ولا أين سيستخدمه، فسأل الرّجل قائلًا:

- ما هو الباب الذي سيفتحه للخروج؟

ابتسم الرجل وقال:

- لقد مرّ عليك في رحلتك الطويلة.

همّ أن يسأله قائلًا:

- في أيّ مرحلة كان؟

ولكنْ فجأة اهتزّت صورة الرجل واختفى!

همّ أن يصرخ وهو يمسكُ بالمفتاح بقوة، خشيَ أن يعاد بدء اللّعبة من جديد باختفاء القائد مثلما يحدث عندما يموت أو يقتله، وبهذا سوف يبدأ كلّ شيء من الصفر مرّة أخرى، ولكن تنفّس الصّعداء عندما وجد نفسه مازال واقفًا مكانه، وبنفس وعْيه، ولم تنقطع الأحداث،

والمفتاح الذّهبي باقٍ في يده، إذًا.. لقد اختفى القائد دون أن تتوقّف اللعبة أو يعاد كلّ شيء فيها من البداية، لقد وصل بالفعل إلى المرحلة النّهائية، الآن فقط مطلوب منه أن يتوصّل إلى الباب الذي يمكن معه استخدامُ المفتاح؛ وذلك للخروج من برْمجة هذه اللّعبة، لقد قال له القائد قبل اختفائه إنّه مرّ على ذلك الباب، فترى أيّ باب هو، لقد طرق وعبر خلاله الكثير جدًّا من الأبواب، الكثير من القلاع والمباني والبيوت والثكنات اقتحموها، حتمًا الباب بإحداها، فهل سيجلسُ ليتذكّر خلال جميع المراحل التي مرّ بها، ويحصد جميع الأبواب، ثمّ يقوم بدراستها ليرى أيّها هو الباب المحتمل؟!

هذا شيء صعبٌ جدًّا.

ولكن، بما أنّه الآن في مرحلة استخدام ذكائه وتفكيره المنطقي، يمكنه الآن ترشيد هذا البحث والوصول الى الباب المراد دونَ خوض الكثير من مراحل البحث والتّجربة، فلن يتحمّل العودة ليقوم بتجربة المفتاح على جميع الأبواب المغلقة التي مرّ بها في جميع المراحل السابقة، حتمًا يوجد إشارةٌ للحلّ مرّت عليه، لو التقط هذه الإشارة سيصل إلى حلٍّ يمنحه الباب المراد، عبر جميع الألغاز التي مرّت عليه والتي كانت تطلب منه الوصول لشيء ما، كان هناك دومًا إشارةٌ ظاهرة ويجب عليه فقط بدقّة ملاحظته أنْ يلتقطها، ويفهم مقصدها، وبعدها يصل إلى الحلّ،

حتّى اللّغز الكبير والأخير، والذي كان حلّه القلم الرّصاص، لقد كانت الجائزة على حسب ظنه وقتها القلمَ الذّهبي بجيب القائد، وصورة القائد كان ظنّه أنّها مقصود بها شخصُه، ولكن كان مقصودًا بها طرف المفتاح البادي بجيبه على شكل قلم ذهبي..

القلم الذهبي،

المفتاح الذهبي،

لقد تكرّرت كلمة الذّهبي كثيرًا.

لمعت عيناه بشدّة، وانتابه شعورٌ جديد وكبير بالشجن والسّعادة، لقد توصّل إلى الحلّ أخيرًا.

يا للذكاء!!

ما هي المرحلة التي سرقوا فيها الذهب؟

إنّها مرحلة اقتحام البنك.

وبما أنّ كلّ شيء متعلّق بالمفتاح كان يُطلق عليه لقب ذهبي،

إذًا.. فالحلّ هناك داخل ذلك البنك؟

حتمًا لو ذهب إليه الآن سيجدُ البنك يعمل بشكل عادي، والنّاس به يتعاملون بشكل طبيعي، مثل ما حدث مع المبنى المقدّس عندما

عاد إليه في فترة الهدنة بعيدًا عن القتال، كان الرّجال بداخله يقفون بصمتٍ في صفوف منتظمة، ولكن يتأهّبون للقتال وبداية المرحلة الخاصّة بهم في اللعبة، وبما أنّه لم يكن يقاتلهم مع فريقه، وكان في مرحلة التوقف المؤقّت للعبة، لم يتحرّكوا أو يتفاعلوا معه، ولم تفلح معهم كلّ محاولات تحريكهم على الإطلاق، وكذلك لم يمت منهم مَن أصيب بالرصاص!

الآن تجلّت كلّ الأسرار..

حسنًا.. ولكنْ هل في البنك سيتفاعل معه الناس أم لا؟

يخشى ألّا يتمّ التفاعل معه ويظلّ في نفس الحيرة،

ولكنّ البحث داخل البنك عن باب مخصّص للمفتاح الذّهبي لن يكون عسيرًا عليه، الآن فقط يجب عليه الوصولُ إلى البنك، كيف سيفعل ذلك؟

بمثل ما كان يصل الى المبنى المقدّس عبر التعرف عليه من أعلى مبنى مرتفع جدًّا، يذكر جيدًا برج بثّ إشارات الهواتف الجوّالة الكبير المرتفع أمام البنك، الآن علم فائدته، لقد كان مجرّد علامة بارزة لترشده إلى مكان البنك عندما يصل إلى الحلّ، وذلك إذا كان بعيدًا عنه، أسرع لأقرب بناءٍ عال، وأعلى سطحه أخذ يجول ببصره يمينًا

ويسارًا حتّى وجد البرج، وبمنتهى السعادة أخذ يحسب كيف سيصل إليه، وهبط مسرعًا، وزادت سرعة خطواته بمنتهى الحماس وهو في الطّريق إليه، وكما توقّع تمامًا..

كان البنك يعجُّ بالحركة، والنّاس يتفاعلون بداخله بشكل طبيعي، ورغم تعجّله للخروج من اللعبة لم يستطع مقاومة الوقوف لرصْد نمط حركتهم ليتأكّد من صحة استنتاجه وقدرته على التفكير المنطقي، قام بالتركيز على مراقبة حركة فردٍ واحد، ها هو يدخل من باب البنك، ثمّ ذهب إلى نافذة التعامل مع الصّرّاف رقم خمسة، وقف أمامه قليلًا ثمّ انصرف، وبعد ثلاثِ دقائق عاد مرّة أخرى وفعل نفس الأمر، بالطّبع في خلال هذه الدّقائق دخل غيره فردان قاما بنفس الأمر، وعاد تكرارهم من بعده، الآن أدرك كم هو عبقريّ بالفعل، وعلم بكلّ قواعد اللعبة، حسنًا.. مَن يمكنه الإجابة على أسئلته؟ إنْ كان هناك من لديه أجوبة ..

ضحك ضحكة قصيرة عندما أتته الفكرة، فكما كانت الأجوبة لدى قائد فريق السّكمنتو، فحتمًا الأجوبة هنا مع مدير البنك، أخذ يجول ببصره يمينًا ويسارًا حتّى وجد قاعةً كبيرة مغلقة بباب زجاجي معتم، وعليها لافتة بارزة مكتوب عليها كلمة (مدير البنك)، توجّه بمنتهى الاطمئنان والثّقة، وفتح الباب، ودخل ليجده جالسًا على كرسيه الوثير خلف مكتبه الكبير،

وضحك بقوّة عندما رأى جاك ملامح المدير، فقد كانت نفس ملامح قائد فريق السّكمنتو، انتشى مجدّدًا لصحّة تفكيره المنطقي الدائم، نظر الرجل نحوه ولم ينطق، فأخرج له المفتاح الذهبي، وقال له:

- أريد الوصول إلى الباب الخاصّ بهذا المفتاح.

قام الرّجل دون أن ينطق، وتحرّك نحو باب جانبي بجوار مكتبة خشبية كبيرةٍ تحوي الكثير من الملفّات الورقية، دفع الباب وعبرَ من خلاله، أسرع جاك خلفه قبل أن ينغلق الباب، ويجد نفسه في حاجةٍ إلى أن يعيد اللعبة من البداية كي يفتح هذا الباب له مرّة أخرى، لقد أصبح على علم بكلّ الخدع وأصبح يحذرها، صعد الرجل به بضع درجات وأشار ناحية اليمين، تحرّك ليعبر بجوار المدير ووقف ينظر إلى ما ظهر ناحية اليمين، وكم كانت سعادته القصوى وفرحته الكبرى، لقد كان بابًا كبيرًا باللون الأحمر، ومكتوب عليه بالإنجليزية (أنت الفائز)، وأسفلها أيضًا بالإنجليزية كلمة (مخرج).

همّ أن يحتضن المدير ويشكرَه على مساعدته، ولكن تذبذب الرجلُ بمثل ما حدث مع قائد فريق السّكمنتو واختفى من أمامه، لقد أتمّ المدير مهمّته، ولم يعد جاك في حاجةٍ إليه، تحرّك نحو الباب وهو يتنهّد بقوّة، ومدّ يده بالمفتاح نحو فتحة مغلاقه وهو يقول:

- بسم الله الرّحمن الرحيم.

دار المفتاح داخل الدّائرة المخصّصة له، ومدّ يده ليجذب الباب الكبير، والذي انفتح معه بسهولة، وغشي بصره توهّجٌ ونور كبيران ساطعان جعلاه غير قادر على الرؤية، وهاجمه صداعٌ كبير أخذ يزيد في القوّة، وفجأة انقطعت الأحداث.

***

ارتعشتْ جفونه وفتح عينيه ببطء وهو يتمنّى ألّا يكون داخل سيارة فريق السّكمنتو، ولكنه يشعر بجسده ممدّدًا فوق شيء وثيرٍ وناعم، ولا يوجد اهتزازات، يبدو أنه قد خرج بالفعل إلى الحياة الحقيقيّة، اكتمل فتح عينيه، وشعر ببعض البريق الذي أخذَ ثوان حتّى اعتادت عينيه على الإضاءة، سمع مَن يقول:

- الحمدُ لله، يا ربّ لك الشّكر كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

نظرَ نحو النّاطق بهذه الجملة فوجدها سيدة جميلة الوجه هادئة الملامح، ترتدي عباءة سوداء، وحجابًا أبيضَ ونظارة سميكة، فقال لها:

- مَن أنت؟

اندفعت نحوه تحتضنه وتقبّله، وهي تقول بصوت متهدج:

- حمدًا لله على سلامتك يا قطعةً من قلبي.

شعرَ بدفء حضن هذه السّيدة، ولا يدري لماذا هي تبكي، سمع مِن خلفها صوتًا يقول مازحًا:

- لنا نصيب فيه يا هدى، هل ستستوْلين عليه وحدك؟

أخذتِ السّيدة هدى هذه تنتحب وهي تقول:

- ليس لي في الدّنيا سواه، الحمدُ لله الذي استجاب لدعائي وصلاتي.

قامتْ وتركت هذا المتحدّث ليظهر ببدلته الأنيقة، وشعره النّاعم المنسّق بعناية، ورغم جديّته كان يظهر على ملامحه التّأثر الشديد وهو يقول:

- حمدًا لله على سلامتك يا عبد الرحمن يا ولدي.

عبد الرحمن! يذكر أنّ اسمه كان (جاك)، ولكن كان ذلك داخلَ اللّعبة، يبدو أنّ تجربة هذه اللعبة قد أفقدته ذاكرته الحقيقية بشكل تام، سيبدأ الآن في معاناة استرجاعها، فقال للرجل:

- هل أنت أبي؟

سالتْ من عيني الرّجل دمعاتٌ رغمًا عنه، وقال:

- نعمْ يا ولدي الحبيب.

حسنًا.. هنا مَن يجيبه، ويمكن أن يكشف له كلّ الأسرار، ولهذا سيصل إلى كلّ الحقائق من خلالهم.

همَّ أن يسألهم، ولكن ظهر رجلٌ وقور بنظارة طبية أنيقة وهو يقول:

- يكفي هذا الآن، لا نريد إجهادَه أكثر من ذلك، لقد استعادَ وعيه بمعجزة.

انطلقت السّيدة التي هي حتمًا أمّه برفقة أبيه، وهي تلتفت بعد كلّ خطوة تخطوها لتنظرَ إليه، وملامحها تنطق بالمحبّة والشّفقة والتألم لأجله.

***

الآن مرّ عليه يومان، وقد صرّح الطبيب بأن حالته الصّحية مستقرّة تمامًا، ولكن فقط حالته العقلية ما يجب الاطمئنانُ عليها، والسعي لدى الأطباء المتخصصين في ذلك؛ للبحث عن كيفية استرجاع ذاكرته، تمّ نقله من وحدة العناية المركّزة إلى غرفة عادية بالمستشفى التي هو فيها، تجلس أمّه على يمينه وتحتضن كفَّ يده اليمني بين يديها الدّافئتين، وأبوه يجلس على يساره، الآن حُقّ له أن يطرح كلّ أسئلته التي يجب أن تكشف كلّ الغموض وما حقيقة اللعبة التي وقع فيها، وكيف خرج منها بمعجزة على حسب قول الطبيب.

وبدأ بالفعل في طرح كلّ الأسئلة التي يموج بها عقله، فهو يذكر كلّ شيء منذ بداية ظهوره مع فريق السّكمنتو، ولكن لا يذكر أيّة

أحداث مما قبلها، باستثناء تلك الومضات التي ساعدته كثيرًا في مغامرة الخروج من اللعبة.

وبدأت تظهر له الكثيرُ من العجائب التي لم يتخيّلها يومًا!

فقد بدأت الأحداث منذ شهر كامل..

***

شركة «تكنومينتال» العالمية، شركة متخصّصة في إصدار الألعاب الاستراتيجية الكبيرة، والتي تحقّق انتشارًا واسعًا بجميع شتى بقاع الأرض، الشركة دائمة الابتكار والتّطوير، وتقوم دومًا باختبار جميع ألعابها قبل إطلاقها، وتختار عيّنة من الشّباب المهووس بألعابهم؛ ليقوموا بتجربة اللّعبة ثمّ إعطاء رأيهم فيها، وقد يتمّ التطوير الكبير بناء على آرائهم، وهذا ما كان سببًا في رواج ونجاح جميع ألعابهم، كان اختيار هذه العينة من اللاعبين يعتمد على اكتشاف مَن لديهم براعة كبيرة واستطاعوا أن ينجحوا في جميع تحدّيات الألعاب في وقت قياسي، فجميع الألعاب لها تسجيلٌ على موقع الشركة الإليكتروني، ومن يشتري نسخةً أصلية من اللّعبة يجب عليه تسجيل حساب مجاني على هذا الموقع بالرّقم التسلسلي لها؛ وذلك حتّى يتمكن من تفعيلها، والموقع لديه برمجة بعمل إحصاءاته بشكل تلقائي، ويقوم الفريق المختصّ بالشركة باختيار من فاز بمراحل اللعبة النهائية في وقت

قياسي ليكون ضمن العينة المختارة لتجربة واختبار اللعبة القادمة، وكان عبد الرحمن الوحيد من الشرق الأوسط الذي نجح وسبق بعض اللّاعبين في أمريكا وأوروبا كلّها، ولأنّه كان الولد الوحيد لأبيه، فلم يتأخّر في إجابة جميع طلباته، ويشتري له جميع الألعاب التي يريدها بنسخها الأصلية، ولأنّ الشركة تتفاعل مع متطلبات العصر، وبعد ظهور ألعاب الواقع المعزّز، وفيه يرتدي اللاعب نظارةً كبيرة تحجب كلّ شيء عنه، ويعيش بجميع مشاعره داخل اللعبة، قام باحث باقتراح خطيرٍ جدًّا يرى بأنّه ثورة لن يسبقهم إليها أحد، وسيبقى سرّها لدى شركة تكنوميتال فقط، وبهذا ستحقق أرباحًا خرافية، وترتفع أسهمها إلى عنان السماء، لقد استعانَ بكثير من أطباء المخّ والأعصاب، وطرح عليهم فكرته، وهل يمكن تطبيقها بشكل عملي، وقام الأطباء بأبحاثهم، وخرجت النتيجة بأنها ممكنة جدًّا، ولكن بها نسبة مخاطر عالية، وبعد اجتماع موسّع للشّركة قرّرت تحمّل هذه المخاطرة في مقابل جني الكثير من الأرباح، كانت الفكرةُ تتلخّص في توصيل أطراف إليكترونية إلى بعض مناطق المخّ بنظام مدروس بعناية، وهذه الأطراف سوف تربط إشارات المخّ بالحاسوب في اتصال مباشر، وبهذا عند تشغيل اللعبة يدخل اللّاعب بكامل وعيه في أحداثها الدّاخلية، لن ينعزل ببصره وسمعه فقط عن الواقع، ولكن سيذهب بكامل وعيه ومشاعره ووجدانه إلى داخل اللعبة، سيجدُ نفسَه أحد الشخصيات

الفعلية اللّاعبة فيها وليس مجرّد محرّك لهم من بعيد، سيكون كأنما هو نائم ويحلم، ولكنّ الحلم هنا سيتمّ توجيهه عبر لعبة معدّة مسبقًا، وتمّت برمجتها بشكل يتناسب مع هذه الخطة، وتمّ اختيار العينة التي ستجرى التّجربة عليها، كان عبد الرحمن أحدهم، تمّ التّواصل معه عبر بريده الإليكتروني، وطرحت عليه الفكرة، ولأنّه يعشق الألعاب التي تنسيه الدنيا كلها وما فيها، وافق مباشرة وهو سعيدٌ جدًّا لاختياره ضمن عينة نادرة تتكوّن من خمسة أفراد فقط غيره، جميعهم خارج الوطن العربي، ولكن طلبوا منه الاهتمام بمدى سرية الأمر وممنوع حتّى إخبار والديه عنها، وافق بسرعة وبلا تفكير، وتساءل بعدها عن مكان وكيفية تشغيل هذه اللعبة داخل رأسه؟

فأخبروه بأنّ هناك فريقًا متخصصًا من مبرمجين وأطباء كبار وعالميّين سيأتون إليه خصيصًا لإجراء ذلك داخل مستشفى كبير ضمانًا لصحّته وسلامته الشخصية، وبالطبع يجب عليه الكذب على والديه، ويخرج دون علمهما، ليأتي إليهم في اليوم المحدّد بمكان مجهول مستقلًّا سيارة غامضة تصحبه إلى ذلك المستشفى الذي لا يعلم حتّى اسمه، وهناك استسلمَ لهم، فتمّ حقنه بمخدّر عام ليغيب عن الوعي، وبعدها تمّ توصيل محلول غامض أزرق اللون بأوردته، فدخل إلى خلايا عقله كي يهيئها لاستقبال الإشارات الإليكترونية، والتي ستأتيه عبر ما يشبه الإبر

الطّويلة التي تمّ زرعها بعناية شديدة داخل رأسه من فتحات يعلمون موضعها بين التّشققات العظمية بجمجمته، وكان ذلك باستخدام جهاز للأشعة يرصد لهم مدى دقة وصول تلك الإبر إلى المواضع المطلوبة في المخّ، فور أن دخلت الموصّلات الإليكترونية إلى رأسه أخذ جسده ينتفضُ بقوّة، فطلب طبيبهم الكبير من طبيب التّخدير أن يزيدَ من سرعة دخول المحلول الأزرق إلى أوردته، حتّى استقرّ مرّة أخرى، وبعد انتظام كلّ مؤشراته الحيوية، بدأت عملية توصيل حاسوب غريب مخصّص لهذه اللعبة وبه مخارج لا توجد بأيّ حاسوب آخر، فتم توصيل الكابلات الممتدّة من الموصلات الإليكترونية بهذه الفتحات بالحاسوب، وبدأ تشغيل اللعبة ليظهر بين فريق السّكمنتو، ولكن كان جاك الممثّل لعبد الرحمن في اللعبة فاقدًا للذّاكرة، كانت هذه أولى المفاجآت للفريق القائم على التّجربة، كانت خطتهم تجربة التوصيل المباشر عبر هذه الإبر بشكل جراحي أثناء التجربة، وإذا نجحت سيتم ابتكار خوذة إليكترونية مجرّد ارتدائها تقوم بالمهمّة دون الحاجة لأيّة جراحات صعبة بعد ذلك، ولكن يبدو أن التّوصيلات الإليكترونية مع المحلول الأزرق الغامض كان لهم أثرٌ سلبي وهو ضياع الذاكرة الشّخصية للاعب، هموا بنزع كلّ شيء لتنتهي اللعبة؛ واستعدّوا للهرب بسرعة قبل أن يكتشف أيّ مسئول فقدان المريض لذاكرته، ولكن وصلهم خبرُ وفاة الخمسة الآخرين جميعًا،

وأحدهم مات حينَ محاولة نزع تلك الموصلات الإليكترونية، وجميع الفرق التي ذهبت للتّجربة مع هؤلاء الخمسة تمّ إلقاء القبض عليهم، وهُم الآن قيد المحاكمة!

بعد كلّ ذلك، وبعد دراسة الأمر جيدًا لمعرفة كلّ الاحتمالات وجميع العواقب؛ يجب عليهم العمل بعناية فائقة حتّى لا يموت منهم عبدالرحمن، ولكي يجدوا المخرج من هذا المأزق، يجب عليهم أمران، أوّلًا متابعة الحالة الصّحية له، وهذا لن يكون إلّا بالإبلاغ الرسمي عن كلّ شيء، فقد قاموا بحجز هذا الجناح داخل المستشفى لمدة يوم واحد فقط، ولكن هكذا قد يطول الأمر، وحتمًا سيكون هناك الكثير من الأسئلة، وربما مشاغبات قد تعيق سعيهم وتتسبّب في فشلهم؛ مما يؤدّي إلى وفاة عبد الرحمن ومحاكمتهم.

الأمرُ الثاني هو متابعة تطوّر الأحداث داخل هذه اللعبة التي تظهر أمامهم على الشّاشة كأنها هي فيلم كرتوني طويل، وكم كانت دهشتهم عندما هرب عبد الرحمن من فريق السّكمنتو، وهذا ما لم يحدث مع أيّ فرد من الخمسة الذين ماتوا، تمّ الاتصال بالمهندس الكبير القائم على برمجة هذه اللعبة، وعندما علم بما حدث انتابه الذهول وقال:

- لقد خرج عن برمجة اللّعبة بعقله، وأوجد لنفسه مسارًا مختلفًا عنها، يمكننا إخراجه منها، ولكن بتغيير برمجة اللعبة، وهذا ما سوف

أعمل عليه، وأرسله لكم على هيئة تحديث لها، ويجب عليكم ترك اللّعبة تعمل دون إيقافها، ثمّ تنزيل التّحديث إليها وهي تعمل ليصل إليها الأكواد الجديدة، والتي سأضع بها المخرج له عبر مساره الخاص، لو كان عبقريًا سيجد هذا المخرج، ويصل إلى كود يقوم بتنبيه جميع خلاياه البصرية لتستحثّ العقل على الإفاقة والخروج خارج سيطرة برمجة اللعبة.

وبالفعل، تمّ التّحديث، وتمّ زرع الاشارات بشكل لا يؤثر على البرمجة الرّئيسية للعبة حتّى لا تتعطّل أو تتوقف، فقد كان بإمكان المبرمج أن يعطي لقائد الفريق أوامر أن يسمح لعبد الرحمن الذّهاب مباشرة الى باب التنبيه البصري داخل البنك، ولكن هذا الكود كان سيمسح كودًا آخرَ باللعبة ويوقفها، ولو توقّفت قبل خروج عبد الرحمن قد يضيع منهم ويفقد حياته، وهذا ما كادَ يتسبّب فيه عندما حاول تعليق اللّعبة ظنًا منه أنّ إعادة تشغيل الجهاز سيخرجه مما هو فيه، لم يكن يدري مدى الخطر الذي يفعله لنفسه، وتمّ إنقاذه بصراخ قائد الفريق فيه بأنّه هكذا لن يجد المفتاح الذّهبي، وأفلت بأعجوبة من المَوت وقتها، ولهذا تمّ زرع الإشارات التي ترشده للحلّ بما لا يفسد أيّ أكواد قديمة وبمنتهى الحذر، منها مثلًا الاستفادة من القلم الظاهر من جيب القائد ليتمّ تحويله إلى مفتاح ذهبي يكون المخرج به، وبهذا لم يغيّر شيئًا لدى القائد، وتركه كما هو، فقط قام

بتحديث شيء جانبي لديه لا يؤثّر على بقية مهامّه، وبهذا كان عبد الرحمن الوحيد النّاجح والنّاجي من هذه التجربة القاسية، وتعهّدت الشّركة بكافّة تكاليف علاجه واسترداد صحّته وذاكرته، وتعويضه هو وأسرته بمبلغ كبير، وقد أصبح هو حديثَ العالم أجمع بسبب عبقريّته وقدرته الفائقة على النجاة.

***

وقفَ عبد الرحمن يتطلّع الى المئذنة العالية للجامع الكبير الذي ذهب بصحبةِ أبيه إليه، كان يعلوها الهلالُ المضيء، ابتسمَ بقوّة، وشعر بالسّعادة، علم الآن سرّ رهبته من المسجد داخل اللعبة، رغم أنّه بداخلها لم يكن يدري ما هو.. وما وظيفته، ولكنّ هيبته كانت تهزّ مشاعره بقوّة، الآن علم سرَّ ذلك، ولم كانت أفكاره مضطربة عنده.

سأل والده متى يأتي الأطفالُ مبتهجين وهم يمسكون بالبلالين المتطايرة حولهم؟ فأجابه أنّ هذا يحدث يوم العيد.

خلع حذاءه، ودخل إلى المسجد ليمسّ أرضه المكسوة بالسّجاد الناعم، شعر براحةٍ نفسيّة كبيرة، نظر نحو المنبر وهو يكادُ يضحك، فصانعو اللّعبة جعلوا هذا المنبرَ مخزنًا للسّلاح، سأل أباه عمّا يوجد أسفله، فأجابه أنّه في الغالب يستخدم لحفظ بعض أدوات المسجد،

وربما المذياع الذي يقوم برفع الأذان في المكبّرات؛ حتّى يسمعه الناس.

انتهى من الصّلاة التي علّمه أبوه إيّاها، وعاد إلى المنزل ليجد أمّه قد أعدّت وجبة شهية، تذوقها باستمتاع كبير، وبعد الانتهاء وتنظيف يديه وفمِه، شكر أمّه على صنيعها الرّائع بهذه الوجبة، احتضنته مجدّدًا ليجد في حضنها حياة مختلفةً لا يمكن أن يجدها في أيّ حياة أخرى.

تمّت بحمد الله

الإسكندرية

٢٠١٩/٣/٨

١٧:٣٤

فريق السكمنتو

ما هو سرّ "فريق السكمنتو" العجيب هذا؟
متى وكيف نشأ؟ وما الدافع لكلّ معمّه الغريبة تلك؟!
ما سرّ تلك المصيدة العلميّة الغريبة؟ وما هو سبيلُ الخروج منها؟
في مغامرة عقلية وعلمية مثيرة..
ندعوكم للاستكشاف كلّ الأسرار الغامضة مع فريق السّكمنتو

hakawypublishing@gmail.com
mob:01551751909
mob:01096476744